التنجيم والمنجمون

وحكم ذلك في الإسلام

تأليف

الدكتور عبد المجيد بن سالم المشعبي

أضواء السلف

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

مكتبة أضواء السلف - لصاحبها علي الحزيمي

الرياض - شارع سعد بن أبي وقاص - بجوار بنده - ص.ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١
ت ٢٣٢١٠٤٥ - محمول ٠٥٥٤٩٤٣٨٥

الموزعون المعتمدون لمنشوراتنا

المملكة العربية السعودية : مؤسسة الجريسي .

مصر : مكتبة الإمام البخاري بالإسماعيلية ـ ت ٣٤٣٧٤٣ / ٠٦٤

باقي الدول : دار ابن حزم ـ بيروت ـ ت ٧٠١٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[(١)]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[(٢)]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[(٣)].

أما بعد: فإن الله سبحانه وتعالى لما خلق الناس خلقهم على الحنيفية السمحة، وجبلهم على الفطرة النقية الصافية، كما أخبر رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه جل وعلا أنه قال: «**وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**»[(٤)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٤) أخرجه مسلم: (٨/ ١٥٩)، كتاب الجنة وصفة نعيمها.

فما من مولود إلا ولد على ذلك، وما من ضال أو مشرك إلا وقد أضله الشيطان، وقد كانت البشرية في قرونها الأولى لا تعرف الشرك، بل كانوا على الحنيفية التي جبلهم الله عليها.

وبعد عدة قرون والناس على ذلك زيَّن الشيطان لفريق منهم التعلق بالصالحين من الأموات، فعبدوهم من دون الله، فكان هذا أولَ شرك وقع في العالم.

فأرسل الله تعالى نوحًا عليه السلام ليعيد الناس إلى عقيدة التوحيد، ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

ثم توالت القرون بعد ذلك، وحدث في الناس شرك من نوع آخر وهو التعلق بالكواكب وعبادتها، واعتقاد النفع والضر فيها فأرسل الله سبحانه رسوله وخليله إبراهيم عليه السلام، فناظر أهل الشرك وأدحض حججهم، وبيّن بطلان عبادتهم، وسوء معتقدهم، فلما بهتوا وقامت الحجة عليهم لجأوا إلى الشدة والقوة، وألقوه في النار ظنًّا منهم أن ذلك هو طريق الخلاص منه. ولكن الله أنقذه منها، ورد كيدهم في نحورهم وجعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام، فأخرجوه من أرضهم، وتبرأوا من دعوته فانتقم الله من الطاغوت الذي وقف أمام دعوة إبراهيم عليه السلام، فأهلكه الله وجعله من الصاغرين.

وهكذا دواليك لا تكاد تبعد أمة من الأمم عن عهد نبيِّها إلا وتراهم يسقطون فريسة لحبائل الشيطان المنصوبة، فيتبعونه ويستمعون إلى غوايته، ويتخذونه وليًّا من دون الله تعالى، وساء وليًّا.

ولا يقع الناس في شيء من ذلك إلا أرسل الله إليهم رسلاً ينبذون الشرك ويقطعون أسبابه، ويدعون الناس إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة،

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(١).

وعلى مر العصور واختلاف الأمم لم يقع في العالم أعظم من هذين الشركين:

الأول: عبادة القبور، والتعلق بالأموات، وهو شرك قوم نوح عليه السلام، وهو أول شرك وقع في العالم، وفتنته أعظم، والابتلاء به أكثر.

والثاني: الإشراك بالنجوم وتعظيمها واعتقاد أنها أحياء ناطقة، وأن لها روحانيات تتنزل على عابديها. وهذا الاعتقاد هو الذي حدا بعابديها إلى أن يبنوا لها هياكل فيها أصنام تناسبها، وكان مبدأ هذا الشرك تعظيم الكواكب وظن السعود والنحوس فيها، وحصول الخير والشر منها(٢).

وآل أمر هذا الشرك ـ أعني عبادة الكواكب واعتقاد أنها آلهة مدبرة ـ إلى الفلاسفة والصابئة والمجوس وغيرهم، واعتقدوا فيها ما اعتقد أسلافهم من قوم إبراهيم، وكانوا ينتشرون حول الجزيرة قبل مبعث النبي ﷺ، فلما بعث النبي ﷺ كانت الكهانة في ذلك الوقت منتشرة بين الناس، والاعتقاد بالكواكب والأنواء ونسبة بعض الحوادث إليها مشهورًا لديهم، فأبطل النبي ﷺ هذه المعتقدات، وأنار لأمته دياجير الظلمات، وبيّن لهم الحق، وحذرهم من اتباع المهلكات الموبقات، وتركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ومن بين هذه الأمور التي حذر أمته منها ادعاء علم الغيب، واعتقاد

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٩٧).

أن لهذه الكواكب تأثيرًا في حوادث هذا العالم مما يزيد على الأمر الطبعي المألوف، حماية لهم من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم الماضية من الإشراك بهذه النجوم واتخاذها أربابًا من دون الله.

وبقي المسلمون على هذه الحال لا يدخل رجل بينهم يدعي شيئًا من علم التنجيم إلا أخرسوه، وحذروا الناس منه، ولا تأتي مناسبة لذمه إلا وذموه، وذموا من يقتفي أثره، ولم يتركوا باب شر تدخل منه مثل هذه الأمور إلا أغلقوه وأحكموا رتاجه كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أمر جنوده الذين فتحوا الإسكندرية أن يحرقوا كتب الفلاسفة والمنجمين التي وجدوها هناك سدًّا لباب الشرك وعبادة الكواكب[١].

ومضت السنون على هذا الحال، إلا أن أعداء الإسلام لا يتركون للإسلام صفاءه، ولا لأهله سموهم وتمكنهم، وهم على عادتهم يتربصون بالمسلمين الدوائر، فإذا وجدوا ثغرة فيهم، أو لمسوا غفلة منهم استغلوها غاية الاستغلال في تنفيذ مخططاتهم التي غايتها إبعاد المسلمين عن دينهم.

فوجد هؤلاء الثغرة المنتظرة عندما فتح الخلفاء العباسيون باب ترجمة كتب الفلاسفة، فتسابق الفرس والصابئة والمجوس وغيرهم ليمدوا أيديهم لتحقيق ذلك، وليبذلوا الجهد والوقت في تنفيذ مخططاتهم، وتقربوا إلى الخلفاء بهذه الأعمال، فلما وجدوا لأنفسهم مكانة عندهم أرادوا منهم أن يسلكوا سلوك ملوك الفرس والروم في اتخاذ المنجمين مستشارين في جميع الأمور، واستطاعوا أن يفعلوا ذلك، فاتخذ بعض الخلفاء في بلاطهم منجمين إن لم يكن اعتقادًا فيهم فهو على الأقل استئناسًا

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (١٧/ ٤١).

بأكاذيبهم، وصدق النبي ﷺ حيث يقول: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم**»(١).

وساهم بعض هؤلاء المنجمين في جمع كتب الفلاسفة الأقدمين، فكانوا يعطون العطاء الجزيل لمن يحضر شيئًا منها وإن كان قليلاً.

ودخلوا بين صفوف المسلمين وخالطوهم، ومال فريق من المنتسبين إلى الإسلام إليهم، وجعلوا أيديهم في أيديهم، ونصبوا أنفسهم الذراع الأيمن لهم، والستار المنيع الذي يتسترون خلفه، واتفقوا على إرجاع الجاهلية الأولى بين المسلمين، وناصروهم في كل مصر وعصر، واتخذوا طريقًا مموهًا لإقناع الناس بباطلهم، فادعوا أن هذه الكواكب صحائف الغيب تفتح لهم متى شاؤوا، ولما صارت لهم سلطة ودولة مكنوا الفلاسفة والمنجمين في الأرض، وقربوهم إليهم، وصرفوا عليهم الأموال تأييدًا لهم، وإظهارًا لمعتقدهم.

وقام علماء المسلمين من كل حدب وصوب يردون على هذا الباطل، ويفندونه ويبينون فساده وهلاك من اعتنقه، كما قام من عرف باطلهم من شعراء وأدباء وغيرهم بالتشهير بهم، وإظهار كذبهم وإفكهم.

إلا أن بعض السذج من الناس انخدعوا بالأقوال البراقة وبالعبارات الجوفاء، فانجرفوا مع تيار هؤلاء، واتخذوا التنجيم صناعة، ومن النجوم مستندًا يتكئون عليه عند حلول الملمات، وما زالت هذه الطوائف في كل عصر تدعو إلى هذا الباطل وتوجه عدتها وعتادها للدعوة لهذه الصناعة، ولإقناع الناس بأن هذا السخف علم، وأن هذا الباطل حق، وأن هذه

---

(١) أخرجه البخاري: (٩/ ١٨٥)، كتاب الاعتصام، ومسلم: (٨/ ٥٧)، كتاب العلم.

الكواكب صحائف الغيب، وأنها المؤثرة في أحوال البشر، بل في أحوال الكون كله، بالاستدلالات الفاسدة أحيانًا، وبالتمويهات والخداع أحيانًا أخرى.

وفي العصر الحاضر، وبعد تقدم الوسائل الإعلامية ازداد نشاط هؤلاء المخادعين، وازداد انتشار هذا الجبت، وأصبح كل يدلي بدلوه في هذا المجال رجمًا بالغيب وقولاً على الله بغير علم، وسخرت هذه الآلات وهذه الوسائل في خدمة هذه الصناعة.

*** أسباب اختيار البحث :**

ولقد رأيت أن تكون أطروحتي لنيل درجة الماجستير في هذا الموضوع، فجعلت عنوانها: «**التنجيم والمنجمون، وحكم ذلك في الإسلام**»، وكان اختياري لهذا الموضوع للأسباب التالية:

١ - إن هؤلاء المنجمين استشرى خطرهم في هذا العصر، فلا تكاد تجد بلدًا من البلدان إلا وتجد لهم فيه أثرًا، فكان واجبًا على كل مسلم الوقوف أمام هؤلاء، وبيان كذبهم بالحجة والبرهان.

٢ - رغبتي في رد أباطيل هؤلاء وكذبهم على الأنبياء، وبيان فساد استدلالهم.

٣ - إن هذا الموضوع لم يدرس دراسة علمية مفصَّلة - فيما أعلم - في العصر الحاضر؛ لذا رأيت أن الكتابة فيه جديرة بالبحث والاهتمام.

*** خطة البحث :**

وقد سرت في إنجاز هذا البحث على الخطة التالية:

قسمته إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

ذكرت في **المقدمة** سبب اختياري لهذا الموضوع والخطة التي سرت عليها، ومنهجي في البحث.

أما **التمهيد**: فهو في بيان أن المتفرد بالخلق وتصريف الكون وعلم الغيب هو الله وحده، وفي بيان التعريف بالتنجيم وأقسامه. ويشتمل على ثلاثة مباحث:

*** المبحث الأول: أن الله هو المتفرد بالخلق والمتصرف في الكون، والعالم بالغيب وحده.**

*** المبحث الثاني: تعريف التنجيم.**

*** المبحث الثالث: أقسام التنجيم.**

● **أما الباب الأول: ففي التنجيم في القديم والحاضر.**

وفيه خمسة فصول:

★ الفصل الأول: التنجيم عند قوم إبراهيم.

ويتضمن مبحثين:

*** المبحث الأول: عبادة قوم إبراهيم للنجوم.**

*** المبحث الثاني: لم يكن خليل الرحمن منجمًا.**

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: لم يكن خليل الرحمن متعلقًا بالكواكب في قوله تعالى: ﴿فنظر نظرة في النجوم . . .﴾.

- المطلب الثاني: لم يكن خليل الرحمن منحمًا في قول الله تعالى: ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾.

- المطلب الثالث: لم يكن خليل الرحمن معتقدًا أن للفلك تدبيرًا في قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك﴾.

★ الفصل الثاني: تنزيه الأنبياء أن يكونوا منجمين.

★ الفصل الثالث: التنجيم عند العرب (في الجاهلية).

★ الفصل الرابع: دور أعداء الإسلام في نشر التنجيم بين المسلمين.

ويشتمل على مبحثين:

※ المبحث الأول: دور أهل الكتاب وغيرهم من المشركين في نشر التنجيم بين المسلمين.

※ المبحث الثاني: دور الرافضة في نشر التنجيم بين المسلمين.

★ الفصل الخامس: التنجيم في العصر الحاضر.

● **أما الباب الثاني: ففي أحكام التنجيم.**

وفيه ستة فصول:

★ الفصل الأول: في الحكمة من خلق النجوم.

★ الفصل الثاني: في حكم الاستسقاء بالنجوم.

★ الفصل الثالث: في حكم تعلم علم الفلك.

★ الفصل الرابع: في الأدلة على فساد صناعة المنجمين، وأنها ظنون كاذبة.

★ الفصل الخامس: في شبهات المنجمين والرد عليها.

★ الفصل السادس: في حكم التنجيم.

ويشتمل على أربعة مباحث:

※ المبحث الأول: حكم العمل بالتنجيم.

※ المبحث الثاني: حكم تعلم علم النجوم دون العمل به.

※ المبحث الثالث: حكم إتيان المنجمين وتصديقهم بما يخبرون به.

※ المبحث الرابع: حكم الأجرة المأخوذة على صناعة التنجيم والواجب تجاه المنجمين.

● **أما الباب الثالث: ففيما يلحق بالتنجيم، وما قد يظن أنه منه، وهو ليس منه.**

وفيه فصلان:

★ الفصل الأول: ما يلحق بالتنجيم.

ويشتمل على مبحثين:

* المبحث الأول: حروف أبي جاد، والاستدلال بها على المغيبات.

* المبحث الثاني: الخط على الرمل، وما يلحق به، والاستدلال به على المغيبات.

★ الفصل الثاني: أمور ليست من التنجيم، وقد يظن أنها منه:

ويشتمل على مبحثين:

* المبحث الأول: توقع حدوث الكسوف والخسوف.

* المبحث الثاني: توقع أحوال الجو.

ثم الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا المبحث.

* منهج البحث:

وقد سرت في بحثي هذا على منهج رسمته لنفسي، وهو كما يلي:

الأول: قمت بعزو الآيات القرآنية التي وردت في الرسالة إلى مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

الثاني: خرجت الأحاديث من كتب السنن، ونقلت حكم العلماء على كل حديث، إلا إذا كان الحديث في «الصحيحين» أو أحدهما فأكتفي بتخريجه لصحة الأحاديث فيهما، كما خرجت كثيرًا من الآثار من كتب السنن، ووجدت بعضًا منها في غيرها، فأوردتها لموافقتها الحق.

الثالث: قمت بترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة.

الرابع: اجتهدت في بيان معنى الألفاظ والعبارات الغامضة الواردة في الرسالة.

الخامس: قمت بشرح بعض المصطلحات التي يرد ذكرها في البحث.

السادس: جعلت أول صحيفة في الباب في ذكر اسم الباب واسم الفصول التي تندرج تحته.

السابع: التزمت أن لا أستدل إلا بالأحاديث الصحيحة، إلا إذا كان ثَمَّ دليل ضعيف يوافق الأدلة الصحيحة فإني قد أورده مع بيان ضعفه.

الثامن: حاولت توثيق أقوالهم الدالة على فساد صناعتهم من كتبهم، وقد وجدت الكثير منها، وما لم أجده اكتفيت بالإحالة إلى الكتب التي ذكرت ذلك.

التاسع: قمت بالرد على أدلة المنجمين بنصوص الكتاب والسنة والأدلة العقلية ما أمكن ذلك، وراعيت في ذكر شبهاتهم التي استندوا عليها أن أوثقها من مصادرهم ما أمكن ذلك.

العاشر: ناقشت الشبه التي استدلوا بها، إن كانت من القرآن بيَّنت وجه فساد استدلالهم مع بيان المعنى الصحيح للآية، وإن كانت أحاديث عاملتها معاملة حديثية، فأورد شبهتهم التي استدلوا بها، ثم أبين درجتها من الصحة والضعف، فإن كانت صحيحة وجهتها إلى المعنى الصحيح الذي يظهر من النص مع بيان فساد استدلالهم.

الحادي عشر: بينت دور الرافضة في نشر التنجيم، واعتمدت في ذلك على أقوالهم، وعلى الكتب المشهورة عندهم.

الثاني عشر: إذا استخلصت فائدة من نص ما، أو كتاب ما، ولم أقف على قول لأحد في ذلك فإني أعبر بكلمة: (مستفاد من كذا).

الثالث عشر: قمت بعمل فهرس للآيات القرآنية، وآخر للأحاديث النبوية، وثالث للآثار، ورابع للأعلام المترجم لهم.

الخامس عشر: قمت بعمل فهرس للمصادر والمراجع التي رجعت لها.

السادس عشر: ذيلت البحث بعمل فهرس تفصيلي للموضوعات.

وقد بذلت في كتابة بحثي هذا الوقت والجهد العظيمين، ونظرًا لأهمية الموضوع فقد كان يتطلب الوقوف على مصادر المنجمين حتى يكون الرد عليهم أبلغ، والحجة عليهم أقوى، ومن فمك أدينك، فعزمت على السفر والتنقيب عن مصادرهم، فذهبت إلى العراق ومصر، وحصلت على كتب من تركيا، كما زرت معهد الملك فيصل للدراسات الإسلامية بالرياض، وزرت بعض الجامعات، كجامعة أم القرى وجامعة الملك عبد العزيز مما كون عندي مجموعة من كتب المنجمين، وفكرة واضحة عن المواضيع التي تعرضت لها في هذا البحث ثم كتبت هذا البحث مستعينًا بالله، ومحاولاً تحري العدل والحق في أقوالي وأحكامي، متبعًا قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1]، فما كان في هذا البحث من حق وصواب فهو من توفيق الله الذي لا تعد آلاؤه ولا تحصى، وما كان فيه من خطأ وسهو فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه، وإني لرجاع إلى الحق إن شاء الله.

* * *

(١) سورة المائدة، الآية: ٨.

التمهيد

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : إن الله هو المتفرد بالخلق، والمتصرف في الكون، والعالم بالغيب وحده.

المبحث الثاني : تعريف التنجيم.

المبحث الثالث : أقسام التنجيم.

المبحث الأول:

أن الله هو المتفرد بالخلق، والمتصرف في الكون، والعالم بالغيب وحده

وفيه مسألتان:

* **أمّا المسألة الأولى: وهي أن الله هو المتفرد بالخلق، والمتصرف في الكون:**

فقد بينها الله تعالى في كتابه العزيز أتم بيان، وضمَّن هذا البيان أدلة عقلية منطقية تثبت إثباتًا لا غموض فيه أن الله هو المتفرد بالخلق والتدبير وحده دون شريك.

وضمَّن هذه النصوص منهجًا واضحًا بطريق برهاني لا يسع الخصم إلا التسليم له.

وقد قسَّمت الآيات الواردة في هذه المسألة بحسب دلالتها إلى ما يأتي:

أولاً: الاستدلال على انفراد الله بالخلق:

وجَّه الله سبحانه خطابه للناس بأنه خلق جميع ما في الأرض من الموجودات لأجلكم، لتنتفعوا بها في دنياكم، وتستدلوا بها على مولاكم[(١)]، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[(٢)].

(١) «تفسير أبي السعود»: (١/ ٩٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

ووجَّه الأنظار إلى أنه هو المتفرد بخلق السموات والأرض وما فيهن دون كل ما سواه[1]، بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2].

ولم يذكر خلق كل ما في السموات والأرض على العموم فقط، بل بيّن المقصود من هذا العموم بأنه شامل لما خلق فيهما من جليل ودقيق، مما يطلق عليه اسم (شيء)، ليدلهم ذلك على وحدانيته تعالى[3].

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾[4].

وبيّن سهولة الخلق عليه، وأنه لم يكرثه ولم يعجزه خلق شيء[5]، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[6].

ثم لفت الانتباه إلى أنه خالق هذا الكون كله دون شريك، فهو المنفرد بخلق كل شيء، فالأشياء كلها خلقه وملكه، وعلى المماليك طاعة مالكهم بإفراده بالعبادة والخضوع له[7]، فقال: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ

(١) «تفسير أبي السعود»: (٧/ ٢٤١).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٣.

(٣) «تفسير أبي السعود»: (٢/ ٣٢٦).

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

(٥) «تفسير ابن كثير»: (٤/ ١٧١).

(٦) سورة الأحقاف، الآية: ٣٣.

(٧) انظر: «تفسير الطبري»: (١٨/ ١٨٠).

﴿يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[١].

وأن الله الذي خلق لكم كل شيء وحده، وجعل في السماء والأرض معايشكم وأقواتكم، وأقوات أنعامكم التي بها حياتكم إلى غير ذلك من الأمور التي فيها مصالحكم ومنافعكم: هو المستحق لشكر هذه النعم وحده؛ لأنه الذي خلقها لكم[٢]، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[٣].

ثانيًا: الاستدلال على تدبير الله وحده لهذا الكون، وأن جميع الخلق مقهورون خاضعون لله تعالى:

يمتن الله على الناس بتسخير كل ما في السموات والأرض من الكواكب والجبال والبحار والأنعام والرياح، وجميع ما ينتفع به، لهم من عنده وحده لا شريك له[٤]، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥].

وبهذا يتبين أن هذا الكون كله مسخر لله تعالى، خاضع لأمره[٦]، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٧].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٢) انظر: «تفسير الطبري»: (٥/ ١٤٤).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٤) «تفسير ابن كثير»: (٤/ ١٤٨).

(٥) سورة الجاثية، الآية: ١٣.

(٦) «تفسير الطبري»: (٨/ ٢٠٦).

(٧) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

إذا اتضح ذلك: فاعلم أن الله هو المتفرد بالاختيار، وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده، ومرجعها إليه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن[1]، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

وهو مصرف الأمور ومدبرها، ما من شيء إلا ويجري على تقديره، قال تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[4].

وإن كل من في السموات والأرض استسلم لله تعالى طوعًا وكرهًا، فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله، والكافر مستسلم لله كرهًا؛ فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذي لا يخالف ولا يمانع[5]، قال

---

(١) «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٣٩٧).

(٢) سورة القصص، الآية: ٦٨.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٣، ١٦٤.

(٤) سورة يونس، الآية: ٣.

(٥) «تفسير ابن كثير»: (١/ ٣٧٨).

تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[1].

وهو مالك السموات والأرض ومن فيهن، والمتصرف فيهم، وهو خالقهم ورازقهم ومقدرهم ومسخرهم ومصرفهم كما يشاء[2]، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾[3]، وقال: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[4].

فالإنسان إذا فكر في نفسه رآها مدبَّرة، وعلى أحوال شتى مصرفة، كان نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم لحمًا وعظمًا؛ لأنه لا يقدر أن يحدث لنفسه في الحال الأفضل التي هي حال كمال عقله وبلوغ رشده عضوًا من الأعضاء، ولا يمكنه أن يزيد في جوارحه جارحة فيدله ذلك على أنه في حال نقصه وأوان ضعفه عن فعل ذلك أعجز[5]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[6].

ومفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده، فما يفتح الله للناس من خير فلا مغلق له ولا ممسك عنهم؛ لأن ذلك أمره لا يستطيع رد أمره أحد،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(٢) «تفسير ابن كثير»: (١/ ١٦٠).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٦.

(٤) سورة المزمل، الآية: ٩.

(٥) «الاعتقاد» للبيهقي: (ص٤٣)، و«تفسير القرطبي»: (٢/ ٢٠٢).

(٦) سورة المؤمنون، الآيات: ١٢ ـ ١٤.

وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم أحد ولا يفتحه لهم، فلا فاتح له سواه[1]، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2].

ثالثًا: الاستدلال على فساد الكون لو كان فيه إلٰه غير الله يدبر الكون معه:

لو قد تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق، فما كان ينتظم الوجود، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق، كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ﴾[3]. ثم لو تعددت الآلهة لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه، فيعلو بعضهم على بعض، وهذا لم يحصل[4]، قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[5].

ولو كان في السموات والأرض آلهة معبودون غير الله لبطلتا بما فيهما من المخلوقات[6]، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[7].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري»: (٢٢/ ١١٥).
(٢) سورة فاطر، الآية: ٢.
(٣) سورة الملك، الآية: ٣.
(٤) «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٢٥٤).
(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.
(٦) انظر: «فتح القدير» للشوكاني: (٣/ ٤٠٢).
(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

ووجه الفساد أن وجود إله آخر يستحق العبادة مع الله يستلزم أن يكون كل واحد منهما قادرًا على الاستبداد بالتصرف، فيقع عند ذلك التنازع والاختلاف، ويحدث بسببه الفساد[1].

رابعًا: الاستدلال على عجز غير الله عن الخلق والتدبير:

لفت الله عقول الناس إلى التفكير والنظر في الخالق: هل لهم من إله خالق إلا الله الذي بيده مفاتيح الأرزاق ومغالقها[2]؟ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[3].

وأخبر عن الأوثان أنها مخلوقة لا تضر ولا تنفع، ومن كان كذلك لا يستحق أن يعبد[4]، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[5].

وأن كل من عبد من دون الله لا يملك تدبير نفسه فضلاً عن تدبير غيره، فضلاً عن تدبير هذا الكون، فهو لا يملك لنفسه دفع ضر أو جلب نفع، ولا يملك الموت ولا الحياة، فمن كان كذلك كيف يكون مدبرًا لهذا الكون؟ وكيف يعبد من دون الله[6]؟

---

(١) انظر: «فتح القدير»: (٣/ ٤٠٢).
(٢) انظر: «تفسير الطبري»: (٢٢/ ١١٥).
(٣) سورة فاطر، الآية: ٣.
(٤) انظر: «تفسير الطبري»: (١٠/ ٩٣).
(٥) سورة النحل، الآية: ١٧.
(٦) «تفسير الطبري»: (١٣/ ١٣٢)، وانظر: «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٣٠٩)، و«فتح القدير» للشوكاني: (٤/ ٦١).

قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾[٢].

وإذا كان الله هو خالق السموات والأرض وما فيهن، فأي شيء خلق الذين من دونه مما يعبد المشركون من الأصنام والأنداد؟[٣] قال تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٥].

فإذا كانت الآلهة الباطلة لم تستقل بخلق شيء من الأرض، ولم يكن لهم شرك في السموات، لا في الخلق ولا في الملك والتصرف دل ذلك على أن الله هو المتفرد بالخلق والتدبير[٦].

بل إن هذه الآلهة الباطلة لا يقتصر عجزها على الخلق والتدبير، بل هي أعجز من ذلك بكثير، فهي لا تستطيع أن تستنقذ ما سلبها

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٦.

(٣) انظر: «تفسير الطبري»: (٢١/ ٦٦)، و«تفسير ابن كثير»: (٣/ ٤٤٢).

(٤) سورة لقمان، الآية: ١١.

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٤.

(٦) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٤/ ١٥٣).

الذباب[1]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[2].

خامسًا: الاستدلال على أن الكفار كانوا مقرين بانفراد الله بالخلق وتسخير الكون:

كان المشركون بالله العابدون معه غيره معترفين بأن خالق السموات والأرض هو الله وحده لا شريك له[3]، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[5].

وكما أن هؤلاء المشركين مقرون ومعترفون بأن الله هو المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار وأنه الخالق الرازق لعباده وأنه مقدر آجالهم واختلافها واختلاف أرزاقهم ففاوت بينهم، فمنهم الغني والفقير، وهوالعليم بما يصلح كلًّا منهم، ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر، وأنه المستقل بخلق الأشياء المتفرد بتدبيرها[6]، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري»: (١٧/ ٢٠٢، ٢٠٣)، و«تفسير ابن كثير»: (٣/ ٢٣٥).

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٣.

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٤/ ١٢٣).

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٩.

(٥) سورة لقمان، الآية: ٢٥.

(٦) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٤٢٠).

﴿ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1]. وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2].

بل إنهم معترفون بأن الضرر والنفع من الله، وأن هذه الأصنام والأوثان لا تملك من الأمر شيئًا، فلا تستطيع دفع ضر ولا جلب نفع ـ فضلاً عن الخلق والتدبير ـ وهذا مقرور في قلوبهم وإن لم يعترفوا به صراحة[3]، ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[4].

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[5].

فترك الجواب هنا لاستغناء السامع بمعرفة ذلك، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه، والمعنى: فإنهم سيقولن: (لا)[6].

*** أمّا المسألة الثانية: وهي أن الله هو العالم بالغيب وحده:**

فقد بينها الله في كتابه كذلك أتم بيان، حيث أمر الله تعالى رسوله ﷺ معلمًا لجميع الخلق: أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله عز وجل فإنه المنفرد بذلك وحده لا شريك له[7]، فقال:

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٣.
(٣) انظر: «تفسير الطبري»: (٢٤/ ٧).
(٤) سورة النمل، الآية: ١٤.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٣٨.
(٦) «تفسير الطبري»: (٢٤/ ٧).
(٧) «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٣٧٢).

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[1].

وقال: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

أخبر سبحانه أن خزائن الغيب عنده وحده[3]، ثم فصل المغيبات فذكر بعضها، فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾[4].

أخبر سبحانه أنه يعلم ذلك كله دون كل ما سواه، وأنه عليم بكل شيء لا يخفى عليه شيء خبير بما هو كائن وما قد كان[5]. وقال: ﴿ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾[6].

ونفى الله عن الملائكة علم الغيب، بل نزه الملائكة ربهم وقدسوه أن يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء، وأن يعلموا شيئًا إلا ما علمهم الله تعالى[7]، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ

---

(١) سورة النمل، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٣) انظر: «تفسير البيضاوي»: ص١٧٨.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٥) «تفسير الطبري»: (٢١/ ٨٧).

(٦) سورة فصلت، الآية: ٤٧.

(٧) انظر: «تفسير ابن كثير»: (١/ ٧٤).

﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾(١).

وبيّن سبحانه أن الجن لا يعلمون الغيب فقال: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾(٢).

فلما أمضى الله قضاءه على سليمان بالموت فمات، لم يدل الجن على موت سليمان إلا دابة الأرض (وهي الأرضة) وقعت في عصاه التي كان متكئًا عليها فأكلتها، فلما خر سليمان ساقطًا بانكسار عصاه، تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب الذي يدعون علمه ما لبثوا في العذاب المهين المذل حولاً كاملاً بعد موت سليمان، وهم يحسبون أن سليمان حي(٣).

ونفى أن يكون خير البشر عالمًا بالغيب، فقال: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾(٤).

وقال: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٣١ ـ ٣٣.

(٢) سورة سبأ، الآية: ١٤.

(٣) انظر: «تفسير الطبري»: (٢٢/ ٧٣، ٧٤).

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٩.

وقال: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[1].

فإذا كان الجن لا يعلمون الغيب، والملائكة لا يعلمون الغيب، والإنس لا يعلمون الغيب، فإن ذلك يدل على تفرد الله بعلم الغيب.

وتمدح الله سبحانه نفسه بعلم الغيب واستئثاره به دون خلقه، وفي هذا دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأطلعهم على ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم، ودلالة صادقة على نبوتهم[2]، فقال: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[3].

وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر الطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه[4] وتخمينه وكذبه[5].

* * *

(١) انظر: «تفسير القرطبي»: (١٩/٢٨).

(٢) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) الحدس: هو الظن والتخمين. انظر: «الصحاح» للجوهري: (٣/ ٩١٥)، مادة: «ح د س».

(٤) «تفسير القرطبي»: (١٩/٢٨).

تعريف التنجيم

* **التعريف اللغوي:**

التنجيم: مصدر الفعل نجّم، وهو مأخوذ من النَّجْم، وهو: الكوكب، وهو اسم علم على الثريا(١).

ونجّم وتنجّم: إذا راعى النجوم من سهر(٢).

والمنجّم والمتنجّم: الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها(٣).

* **التعريف الاصطلاحي:**

تتضمن صناعة التنجيم معرفة أحكام النجوم المتعلقة بالعالم السفلي، وتأثيرات النجوم فيه(٤).

وبناء على هذا سنستعرض أقوال العلماء في تعريف التنجيم الاصطلاحي: فقد عرفه الخطابي وتابعه البغي بأنه: (هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع، وستقع في مستقبل الزمان، كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وظهور الحر والبرد وتغيّر الأسعار وما كان في معانيها من الأمور. يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها، وباجتماعها واقترانها، ويدّعون لها

---

(١) انظر: «الصحاح»: (٥/ ٢٣٩).

(٢) انظر: «جمهرة اللغة»: (٢/ ١١٥).

(٣) انظر: «العين»: (٦/ ١٥٤)، و«جمهرة اللغة»: (٢/ ١١٥)، و«لسان العرب»: (١٢/ ٥٧٠)، و«القاموس المحيط»: (٤/ ١٧٨)، و«تاج العروس»: (٩/ ٧٢، ٧٣).

(٤) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام»: (٣٥/ ١٩٢).

تأثيرًا في السفليات، وأنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجبها)[١].

قلت: إن الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثَّل بأوقات هبوب الريح .. إلخ مع وجود أمثلة أوضح من هذه، كإخبار المنجمين بالسعودة والنحوسة، وبالموت والحياة، وبزوال الدول وقيامها، وبفناء العالم ودوامه، ونحو ذلك مما يكثر ذكره على ألسنة المنجمين.

وعرفه طاش كبرى زادة[٢] بأنه علم يتعرف منه على الاستدلال بالتشكلات الفلكية من أوضاعها، وهي أوضاع الأفلاك والكواكب من المقابلة والمقارنة والتثليث والتسديس والتربيع[٣] على الحوادث الواقعة في عالم الكون والفساد من أحوال الجو والمعادن والنبات والحيوان[٤].

قلت: إن هذا التعريف بيَّن الحكم بالنجوم، ولم يذكر تأثيراتها.

---

(١) «معالم السنن»: (٥/ ٣٧١ ـ ٣٧٢)، و«شرح السنة» للبغوي: (١٢/ ١٨٣).

(٢) هو أحمد بن مصطفى بن خليل طاشكبري زادة، مؤرخ، تركي الأصل، مستعرب. تنقَّل في البلاد التركية مدرسًا للفقه والحديث وعلوم العربية، وولي القضاء بالقسطنطينية، تُوفي سنة ثمان وستين وتسعمائة. انظر: «الأعلام»: (١/ ٢٥٧).

(٣) المقابلة: بمعنى أن يكون الكوكبان متقابلَين؛ أي بينهما مائةوثمانون درجة نصف الفلك.
والمقارنة: بمعنى أن يكون الكوكبان في درجة واحدة من الفلك.
والتثليث: بمعنى أن يكون بين الكوكبين مائةوعشرون درجة ثلث الفلك.
والتسديس: بمعنى أن يكون بين الكوكبين ستون درجة سدس الفلك.
والتربيع: بمعنى أن يكون بين الكوكبين تسعون درجة ربع الفلك. «رسائل إخوان الصفا»: (١/ ١٥٢).

(٤) «مفتاح دار السعادة ومصباح السيادة»: (١/ ٣٣٧).

وعرفه حاجي خليفة[١] بقوله: هو علم يعرف به الاستدلال على حوادث الكون والفساد بالتشكيلات الفلكية، وهي أوضاع الأفلاك والكواكب كالمقارنة والمقابلة والتثليث والتسديس والتربيع إلى غير ذلك[٢].

ويؤخذ على هذا التعريف أنه لم يتعرض لتأثير الكواكب على الحوادث الأرضية.

أما التعريفات التي خلت عن مثل هذه الاعتراضات فهي:

تعريف ابن تيمية بأنه هو: الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية كما يزعمون[٣].

وعرفه ابن خلدون في «مقدمته» فقال: ما يزعمه أصحاب هذه الصناعة من أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قِبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولِّدات[٤] العنصرية مفردة ومجتمعة، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية والشخصية[٥].

---

(١) هو مصطفى بن عبد الله كاتب حلبي المعروف بـ (حاجي خليفة)، مؤرخ، بحاثة، تركي الأصل مستعرب، مولده ووفاته في القسطنطينية، وكانت وفاته سنة سبع وستين وألف للهجرة.
انظر: «كشف الظنون»: المقدمة، و«الأعلام»: (٧/ ٢٣٦).

(٢) «كشف الظنون»: (٢/ ١٩٣٠).

(٣) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام»: (٣٥/ ١٩٢).

(٤) المولّد: المحدث من كل شيء. «لسان العرب»: (٣/ ٤٧٠).

(٥) «مقدمة ابن خلدون»: ص٥١٩ ـ ٥٢٠.
ويقصد بالأنواع الكلية، الحوادث التي تحدث للعالم أو للدول.
وبالأنواع الشخصية: الحوادث التي تحدث للأشخاص من موت وحياة ونحوه. =

وفي نظري أن تعريف ابن خلدون أوضح التعريفات؛ إذ إن التعريفات الماضية لاتسلم من الملحوظات كما بينت ذلك في موضعه، وتعريف ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حسن إلا أن فيه إجمالاً.

* * *

أقسام علم النجوم

ينقسم علم النجوم عند الإطلاق إلى ثلاثة أقسام[1]: حسابيات، وطبيعيات، ووهميات[2].

* **القسم الأول:**

كعمل التقاويم، وحل الزيجات، واستخراج التواريخ، ونحو ذلك[3].

* **القسم الثاني: الطبيعيات:**

كالاستدلال من انتقال الشمس في البروج الفلكية على الفصول كالحر والبرد والاعتدال[4]، وهذا ما عبَّر عنه الخطابي والبغوي بقولهما: (أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والحس كالذي يعرف به الزوال ويعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه)[5].

ويدخل في هذا القسم أيضًا العلم بأسماء الكواكب ومناظرها ومطالعها ومساقطها وسيرها والاهتداء بها، وانتقال العرب عن

(١) قد قسمها بعض العلماء على غير هذا التقسيم كالخطابي في «معالم السنن»: (٥/ ٣٧١)، والخطيب البغدادي في القول في النجوم ق١ أ، والبغوي في «شرح السنة»: (١٢/ ١٨٣)، وابن رجب الحنبلي في «فضل علم السلف على علم الخلف»: (ص١٣٤)، وكلها بمعنى واحد وإن اختلفت الألفاظ، واخترت تقسيم حاجي خليفة لما يحويه من التفصيل.

(٢) «كشف الظنون»: (٢/ ١٩٣٠).

(٣) انظر: «رسائل إخوان الصفا»: (١/ ١١٤).

(٤) «كشف الظنون»: (٢/ ١٩٣٠).

(٥) «معالم السنن»: (٥/ ٣٧١، ٣٧٢)، وانظر: «شرح السنة»: (١٢/ ١٨٣).

مواردهم[1] المائية بحسب ما اعتادوا من أوقاتها، وتخيرهم الأزمان لنتاج مواشيهم، ولضراب الفحول، ومعرفتهم بالأمطار على اختلافها، والتوصل إلى جهة القبلة بالنجوم، ومعرفة مواقيت الصلاة وساعات الليل بظهورها وأفولها[2]، وهذا ما يسمَّى بعلم التسيير[3].

* **القسم الثالث: الوهميات:**

وهو ما يزعمه المنجمون من أحكام النجوم، وتأثيرها في هذا العالم.

وهذا القسم نوعان:

النوع الأول: اعتقاد أن هذه الكواكب تدبر هذا الكون، وأنها أحياء ناطقة مختارة، منها يصدر الخير والشر، وأن حركاتها تُحدث جميع حوادث الكون والفساد[4]. ومعتقدو هذا المذهب انقسموا إلى أربعة أصناف:

الصنف الأول: أصحاب الهياكل[5]: وهم الذي اعتقدوا أن الهياكل (الكواكب) آلهة وأرباب معبودة، وأن الله رب الأرباب وإليه التوسل والتقرب. والتقرب إلى هذه الهياكل تقرب إلى الروحانيات، والتقرب إلى الروحانيات تقرب إلى الله تعالى. وهذه الهياكل هي المدبرة لكل ما في عالم الكون والفساد. وهي قديمة فاعلة ناطقة، ممكنة الوجود لذواتها، واجبة

---

(١) الموارد: المناهل، والمنهل: المشرب. انظر: «لسان العرب»: (٣/ ٤٥٦)، (١١/ ٦٨١).

(٢) انظر: «حكم علم النجوم»: (ق ١ أ).

(٣) «فضل علم السلف على الخلف»: ص١٣٤.

(٤) انظر: «السر المكتوم» للرازي: (ق ١٨٤ ب).

(٥) نسبة إلى الكواكب، وأطلقوا اسم الهياكل على الكواكب لأنهم اعتقدوا أن لكل روحاني كوكب، ونسبة الروحاني إلى الهيكل الذي اختص به كنسبة الروح إلى الجسد. انظر: «الملل والنحل»: (٢/ ٧).

الوجود بإيجاب المؤثر الأول لها بذلك. وهذا مذهب بعض قوم إبراهيم وبعض الفلاسفة[١].

الصنف الثاني: قالوا: إن هذه الكواكب والأفلاك واجبة الوجود لذواتها، وليس لها مبدأ أول أصلاً، بل هي الموجدة لهذا العالم. وهم الصابئة الدهرية[٢].

الصنف الثالث: وهم الذين اعتقدوا أن هذه الكواكب مخلوقة، خلقها فاعل مختار، وهو الإله الأعظم، وأودع في كل كوكب منها قوة مخصوصة، وفوض تدبير العالم إليها. قالوا: وهذا لا يقدح في جلال الله وكبريائه، فأي خلل في أن يكون للملك عبيد منقادون لأمره، ثم إنه فوض إلى كل واحد منهم تدبير مملكة طرف معين، وسلطنة إقليم معين[٣]. وهذا مذهب إخوان الصفا[٤]، والرازي[٥]، وغيرهم من الفلاسفة.

---

(١) انظر: «الملل والنحل»: (٢/٦ ـ ٨)، و«السر المكتوم»: (ق ١٨٥ أ)، و«أبكار الأفكار» نقلاً عن «الصابئة قديمًا وحديثًا»: ص١٧ ـ ١٩، و«الزواجر»: (٢/ ١٠١).

(٢) «السر المكتوم»: (ق ١٨٤ ب)، و«الزواجر»: (٢/ ١٠١).

(٣) انظر: «رسائل إخوان الصفا»: (١/ ١٤٤ ـ ١٤٥)، و«السر المكتوم» للرازي: (ق ١٨٥ أ)، و«تفسير أبي السعود»: (١/ ١٦٤).

(٤) هو أبو سليمان محمد بن معشر البستي، ويعرف بالمقدسي. وأبو الحسن علي بن زهرون الزنجاني. وأبو أحمد النهرجوري. والعوفي. وزيد بن رفاعة. وهم حكماء اجتمعوا وصنفوا رسائل يجمعون فيها بين الفلسفة والدين سموها «رسائل إخوان الصفا». وكان ذلك بعد المائة الثالثة للهجرة. ويتسترون بين المسلمين باسم التشيع. انظر: «الإمتاع والمؤانسة»: (٢/ ٤)، و«تاريخ حكماء الإسلام»: (٣٥ ـ ٣٦)، و«مجموع الفتاوى»: (٣٥/ ١٣٣ ـ ١٣٦)، (١٢/ ٢٣).

(٥) انظر: «النبوات، وما يتعلق بها» للرازي: ص٢١٤، ٢١٥، والرازي هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي ابن عليّ القرشي البكري، أبو عبد الله فخر الدين =

ومن أقوال الرازي في ذلك: (ثبت أن القول بوجود أرواح عالية هي المدبرة لأحوال هذا العالم لا بد منه، وبهذا الطريق لا يتم السعي في إحداث شيء غريب في هذا العالم إلا بالاستعانة بتلك الأرواح)، وقال أيضًا: (فثبت بهذا بيان أن حدوث الحوادث في هذا العالم منوطة ومربوطة بالحركة المستديرة الفلكية المبرأة عن الانقطاع والتغير)[1].

ومن أقوال إخوان الصفا في ذلك: [إن كواكب الفلك هم ملائكة الله وملوك سماواته، وخلقهم الله تعالى لعمارة عالمه، وتدبير خلائقه، وسياسة بريته، وهم خلفاء الله في أفلاكه][2].

وقال أيضًا: [واعلم أن أول قوة تسري من النفس الكلية نحو العالم فهي في الأشخاص الفاضلة النيرة التي هي الكواكب الثابتة، ثم بعد ذلك في الكواكب السيارة، ثم بعد ذلك فيما دونها من الأركان الأربعة، وفي الأشخاص الكائنة منها من المعادن والنبات والحيوان][3].

الصنف الرابع: وهم الحلولية. وهؤلاء زعموا أن الإله المعبود واحد في ذاته، وأنه أبدع أجرام الأفلاك وما فيها من الكواكب، وجعل الكواكب مدبرة لما في العالم السفلي، فالكواكب آباء أحياء ناطقة، والعناصر أمهات، وما تؤديه الآباء إلى الأمهات تقبلها بأرحامها فتحمل

= الرازي، المفسِّر، المتكلم، ويقال له: ابن خطيب الري. تُوفي سنة ست وستمائة للهجرة. انظر: «الكامل» لابن الأثير: (١٢/ ٢٨٨)، و«البداية والنهاية»: (١٣/ ٦٠)، و«الأعلام»: (٦/ ٣١٣).

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) انظر: «رسائل إخوان الصفا»: (١/ ١٤٥).

(٣) المصدر نفسه: (١/ ١٤٦).

من ذلك المواليد وهي المركبات، والإله تعالى يظهر في الكواكب السبعة ويتشخَّص بأشخاصها من غير تعدد في ذاته، وقد يظهر أيضًا في الأشخاص الأرضية الخيرة[1].

النوع الثاني: اعتقاد أن الخالق والمدبر هو الله، وأن للشمس والقمر وسائر الكواكب تأثيرًا في هذا الكون، وهذا التأثير من أفعال الله، وإنما أضيف لهذه الكواكب من باب التجوز والتوسع، ولكن الله أجرى الحوادث على الأرض وجعل حركات الكواكب في العادة علامات ودلالات عليها قبل حدوثها. وهذا ما ذهب إليه ابن طاوس[2]، والبهائي[3] من الشيعة الجعفرية وغيرهم. ومن أقوالهم الدالة على مذهبهم هذا: قول علي بن موسى بن طاوس: [إنما صح من علم النجوم القول بأنها دلالات وعلامات على الحادثات بقدرة الفاطر لها الآمر بها في الدلالات][4]. وهذا القسم الثالث هو المسمى بعلم التأثير[5].

---

(١) انظر: «الملل والنحل»: (٢/ ٥٤ ـ ٥٥). وسماهم الشهرستاني (الحرانية)، و«أبكار الأفكار» نقلاً عن «الصابئة قديمًا وحديثًا»: ص٢٠.

(٢) انظر: «فرج المهموم»: ص٧٢ ـ ٧٤، ٨٣.
وابن طاوس هو علي بن موسى بن جعفر بن طاوس الحسني أبو القاسم، رافضي إمامي، أثنى عليه الحر العاملي وغيره من مؤرخي الرافضة. تُوفي سنة أربع وستين وستمائة للهجرة. انظر: «أمل الآمل»: (٢/ ٢٠٥)، و«هدية العارفين»: (١/ ٧١٠)

(٣) انظر: «الأنواء النعمانية»: (١/ ١٩٣). والبهائي هو بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الجبعي الهمذاني. رافضي إمامي من الشعراء، أثنى عليه الحر العاملي. تُوفي سنة إحدى وثلاثين وألف للهجرة. انظر: «أمل الآمل»: (١/ ١٥٥ ـ ١٦٠)، و«الأعلام»: (٦/ ١٠٢).

(٤) «فرج المهموم»: ص٨٣.

(٥) انظر: «فضل علم السلف على الخلف»: ص١٣٤.

الباب الأول

التنجيم في القديم والحاضر

ويشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول : التنجيم عند قوم إبراهيم .

الفصل الثاني : تنزيه الأنبياء أن يكونوا منجمين .

الفصل الثالث : التنجيم عند العرب (في الجاهلية) .

الفصل الرابع : دور أعداء الإسلام في نشر التنجيم بين المسلمين .

الفصل الخامس : التنجيم في العصر الحاضر .

الفصل الأول

التنجيم عند قوم إبراهيم

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : عبادة قوم إبراهيم للنجوم.

المبحـــث الثاني: لم يكن خليل الرحمن منجمًا.

عبادة قوم إبراهيم للنجوم

قوم إبراهيم هم الكشدانيون الذين كانوا يعبدون الكواكب في قديم الزمان، ويزعمون أنها المدبرة لهذا العالم السفلي، وأن الخير والشر صادر منها.

ونشأت عبادة الكواكب عندهم من التعلق بالملائكة، واعتقاد أنهم وسطاء بين الله وبين خلقه، وأنهم موكلون بتصريف هذا العالم، ثم تنبهوا إلى أن الأفلاك والكواكب أقرب الأجسام المرئية إلى الله تعالى، وأنها أحياء ناطقة مدبرة للعالم وأنها بالنسبة للملائكة كالروح للجسد، فهي الهياكل، والملائكة الأرواح[1]، وأنها متصفة بصفات مخصوصة، ولوجود هذه الصفات استحقت أن تكون آلهة تعبد، وهذه الصفات هي:

١ ـ أن هذه الأفلاك متحركة بحركة إرادية، وهي نفوس عالمة مدركة، وهي علل لهذه النفوس البشرية.

٢ ـ قالوا: إن جملة الفلك كجملة البدن، والكواكب كالقلب، وكما أن التعلق الأول بالنفس بالقلب، ثم بواسطته للبدن، فكذلك الأرواح الفلكية لا بد وأن ينسحب عنها قوى كبيرة، ويكون لكل واحد منها

(١) قد قسمها بعض العلماء على غير هذا التقسيم كالخطابي في «معالم السنن»: (٥/ ٣٧١)، والخطيب البغدادي في القول في النجوم ق١ أ، والبغوي في «شرح السنة»: (١٢/ ١٨٣)، وابن رجب الحنبلي في «فضل علم السلف على علم الخلف»: (ص١٣٤)، وكلها بمعنى واحد وإن اختلفت الألفاظ، واخترت تقسيم حاجي خليفة لما يحويه من التفصيل.

قوى خاصة بجانب معين من جوانب الفلك[١].

٣ ـ أن الأفلاك والكواكب مدركة للجزئيات والكليات.

٤ ـ أن هذه الكواكب عالمة بجميع ما يجري من الحوادث في هذا العالم سواء كانت هذه الحوادث طبعية أو قسرية أو اختيارية.

٥ ـ زعموا أن الكواكب على صور الحيوانات في العالم.

٦ ـ قالوا: إن العلة يجب أن تكون أكمل من المعلول، وهذه الصور العالية علة للصور السفلية، فيجب أن تكون أكمل منها، فلا يبعد أن يقال: إنها على بعدها من هذا العالم تحس بكل ما في هذا العالم، وتسمع دعاء البشر، وتبصر تضرعهم، وتشم روائح دخنهم وبخوراتهم، ولا يبعد أن يكون لها ولأرواحها وأعوانها أسماء مخصوصة، ولا يبعد أن تتجلى لمن يحمدها ويتضرع إليها، وتوحي أسماءها وأسماء أعوانها إلى ذلك الداعي[٢].

٧ ـ اعتقدوا أن الكواكب والأفلاك ممكنة الوجود لذواتها، واجبة الوجود بإيجاب المؤثر الأول لها، وليس في عالم الكون والفساد فاعل قديم مختار إلا الأفلاك والكواكب[٣].

ثم إنهم لما اعتقدوا أن هذه الكواكب متصفة بهذه الصفات بالإضافة إلى اعتقادهم أن الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله، وأن كل ما يحدث في هذا العالم إنما هو على قدر ما تجري به الكواكب عظَّموها، وتعرفوا على بيوتها ومنازلها ومطالعها ومغاربها، وعلى اتصالاتها على أشكال الموافقة

(١) «كشف الظنون»: (٢/ ١٩٣٠).

(٢) انظر: «رسائل إخوان الصفا»: (١/ ١١٤).

(٣) «كشف الظنون»: (٢/ ١٩٣٠).

والمخالفة مرتبة على طبائعها المزعومة، ثم على تقسيم الأيام والليالي والساعات عليها، فعملوا الخواتيم، وتعلموا العزائم، وتضرعوا إليها بالدخن وتقريب القرابين ثم عينوا لكل هيكل يومًا، وراعوا فيه ساعاته الأولى، وتختموا بخاتمه المعمول على صورته، ولبسوا اللباس الخاص به، وتبخروا ببخوره، ودعوا بدعواته . . . وهكذا.

وكانوا يتقربون إلى الهياكل تقربًا إلى الروحانيات، ويتقربون إلى الروحانيات تقربًا إلى الباري تعالى، وهؤلاء يسمّون أصحاب الهياكل(١).

فلما كانت هذه الكواكب يختفي أكثرها في النهار وفي بعض الليالي لما يعرض في الجو من الغيوم والضباب ونحو ذلك رأوا أن ينصبوا لهذه الكواكب أصنامًا وتماثيل على هيئة الكواكب السبعة حينما تصدر أفعالها عنها ـ كما يزعمون ـ كل تمثال يقابل هيكلاً، فكانوا يتقربون إلى هذه التماثيل في الساعات المحمودة للكواكب عندهم، فيلبسون لباسه، ويتختمون بخاتمه، ويتبخرون ببخوره الخاص به، ويتضرعون بالدعاء عندها، ويسألون حاجاتهم منها.

واعتقدوا أن التقرب إلى هذه الأصنام هو الوسيلة إلى الهياكل التي هي وسيلة إلى الروحانيات، التي هي وسيلة إلى الله تعالى. وهؤلاء يسمون أصحاب الأشخاص(٢).

ولذلك أبطل الخليل عليه السلام مذاهب هؤلاء؛ أصحاب الهياكل وأصحاب الأشخاص بما قص الله تعالى عنه(٣).

---

(١) «معالم السنن»: (٥/ ٣٧١، ٣٧٢)، وانظر: «شرح السنة»: (١٢/ ١٨٣).

(٢) الموارد: المناهل، والمنهل: المشرب. انظر: «لسان العرب»: (٣/ ٤٥٦)، (١١/ ٦٨١).

(٣) انظر: «حكم علم النجوم»: (ق ١ أ).

ففي إبطاله لمذهب أصحاب الهياكل قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾[1].

وفي إبطاله لمذهب أصحاب الأشخاص قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴾[2].

* * *

---

(١) «فضل علم السلف على علم الخلف»: ص١٣٤.

(٢) انظر: «السر المكتوم» للرازي: (ق ١٨٤ ب).

المبحث الثاني

لم يكن خليل الرحمن منجما

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : لم يكن خليل الرحمن متعلقًا بالكواكب في قوله تعالى: ﴿فنظرة نظرة في النجوم . . .﴾.

المطلب الثاني : لم يكن خليل الرحمن منجمًا في قوله تعالى: ﴿فنظرة نظرة في النجوم . . .﴾.

المطلب الثالث : لم يكن خليل الرحمن معتقدًا أن للفلك تدبيـرًا في قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن ءاتاه الله الملك﴾.

المطلب الأول

لم يكن خليل الرحمن متعلقًا بالكواكب في قول الله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾

إن الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فالنبي يختص بصفات ميزه الله بها على غيره، وفي عقله ودينه، واستعد بها لأن يخصه الله بفضله ورحمته، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2]، وقال الله تعالى لما ذكر الأنبياء بقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3]، فأخبر أنه اجتباهم وهداهم[4].

ومع ذلك نجد من يزعم أن إبراهيم عليه السلام اعتقد في طفولته أو بعد بلوغه أن إلٰهه هو الكوكب أو القمر أو الشمس ليعضد أصلاً من أصوله

---

(١) سورة الزخرف، الآيتان: ٣١ ـ ٣٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة الأنعام، الآيات: ٨٤ ـ ٨٧.

(٤) انظر: «منهاج السنة النبوية»: (٢/ ٤١٦ ـ ٤١٧).

الفاسدة مستدلاً بآثار ضعيفة مروية عن ابن عباس، وابن مسعود، وقتادة[1]، وغيرهم، ومستدلين بقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

فقد ذهبت طائفة إلى القول بأن إبراهيم اعتقد أن الكواكب ربه وإلٰهه في طفولته، وقبل قيام الحجة عليه[3].

وأورد ابن جرير الطبري روايتين عن ابن عباس، ورواية عن ابن مسعود، وروايتين عن ابن إسحاق تدل على أن المراد بهذه الآيات نظر إبراهيم الخليل عليه السلام في طفولته في هذه الكواكب واعتقاده أنها ربه، والروايات هي:

---

(١) هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري، وهو ابن دعامة بن قتادة بن عزيز، وكان أعمى يكنى أبا الخطاب. توفي بواسط في الطاعون، كان عالمًا مفسرًا فقيهًا. قال فيه يحيى بن معيحنح: حافظ ثقة ثبت لكنه مدلس، ورمي بالقدر. وقال الذهبي: ومع هذا فاحتج به أصحاب الصحاح لا سيما إذا قال: حدثنا. وقال ابن حجر: ثقة ثبت. انظر: «الجرح والتعديل»: (٧/ ١٣٣ ـ ١٣٥)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي: (٣/ ٣٨٥)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر: (٨/ ٣٥١ ـ ٣٥٦)، و«التقريب»: (رقم ٥٥١٨).

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ٧٦ ـ ٧٩.

(٣) انظر: «تفسير الطبري»: (٧/ ٢٥٠).

الرواية الأولى: قال ابن جرير الطبري: حدثني موسى بن هارون[1]، قال: حدثنا عمرو بن حماد[2]، قال: حدثنا أسباط[3]، عن السدي[4] في

(١) هو موسى بن هارون الهمداني، من شيوخ الطبري. ذكر الطبري اسمه هذا في موضع آخر. انظر: «تاريخ الأمم والملوك»: (١٠/ ٤٣١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار سويدان ـ بيروت ـ لبنان.
لم أعثر له على ترجمة فيما اطلعت عليه من كتب الرجال. وقد سبقني في البحث عنه محمود شاكر، ولم يجده، ثم قال: (وما بنا من حاجة إلى ترجمته من جهة الجرح والتعديل، فإن هذا التفسير الذي يرويه عن عمرو بن حماد معروف عند أهل العلم بالحديث، وما هو إلا رواية كتاب لا رواية حديث بعينه). تحقيق محمود شاكر على «تفسير الطبري»: (١/ ١٥٦). الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر.

(٢) هو عمرو بن حماد بن طلحة القناد أبو محمد الكوفي، وقد ينسب إلى جده (ت ٢٢٢هـ) قال ابن معين وأبو حاتم والذهبي وابن حجر وغيرهم: صدوق. انظر: «الجرح والتعديل»: (٦/ ٢٢٨)، و«ميزان الاعتدال»: (٣/ ٢٥٤)، و«تهذيب التهذيب»: (٨/ ٢٢ ـ ٢٣).

(٣) هو أسباط بن نصر الهمداني، أبو يوسف، ويقال: أبو نصر، ضعفه أبو نعيم والساجي وابن معين في رواية عنه، قال عنه: ليس بشيء، وقال عنه النسائي: ليس بالقوي. وذكره ابن حبان في «الثقات»، ووثقه ابن معين في رواية أخرى عنه، وقال عنه البخاري: صدوق، وقال فيه أبو زرعة: أما حديثه فيعرف وينكر، وأما في فلا بأس به، وقال ابن حجر في «التقريب»: صدوق كثير الخطأ يغرب.
انظر: «كتاب الضعفاء» لأبي زرعة: (٢/ ٢٦٤)، و«الجرح والتعديل»: (ح٢/ ٣٣٢)، و«ميزان الاعتدال»: (١/ ١٧٥)، و«تهذيب التهذيب»: (١/ ١٢)، و«التقريب»: (رقم الترجمة ٣٢١).

(٤) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، أبو محمد القرشي مولاهم، الكوفي، الأعور، وهو السدي الكبير (ت ١٢٧هـ) رماه الجوزجاني وليث بالكذب، وضعفه ابن معين وعبد الرحمن بن المهدي، وقال أبو زرعة: لين، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال الطبري: لا يحتج بحديثه. ووثقه أحمد والعجلي وابن =

خبر ذكره عن أبي صالح[1]، وعن أبي مالك[2]، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني[3]، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ: «كان من شأن إبراهيم عليه السلام أنه طلع كوكب على نمرود فذهب بضوء الشمس والقمر، ففزع من ذلك فزعًا شديدًا، فدعا السحرة والكهنة

= حبان، وقال النسائي: صالح، وفي موضع آخر: ليس به بأس، وقال ابن عدي: هو عندي مستقيم الحديث صدوق لا بأس به. وقال ابن حجر في «التقريب»: صدوق يهم، ورمي بالتشيع.
انظر: «الجرح والتعديل»: (١/ ١٨٤)، و«الكامل» لابن عدي: (١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦)، و«سير أعلام النبلاء»: (٥/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥)، و«ميزان الاعتدال»: (١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧)، و«تهذيب التهذيب»: (١/ ٣١٣ ـ ٣١٤)، و«التقريب»: (رقم الترجمة ٤٦٣).

(١) هو أبو صالح باذام، وقيل باذان، تابعي مولى أم هانئ (ت١٢١هـ) تقريبًا. ضعفه البخاري، وقال النسائي: ليس بثقة، وذكره أبو زرعة في «الضعفاء»، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه تفسير، وما أقل ما له من المسند، وفي ذلك التفسير ما لم يتابعه عليه أهل التفسير، ولم أعلم أحدًا من المتقدمين رضيه. وقال ابن معين: ليس به بأس، وقال يحيى القطان: لم أر أحدًا من أصحابنا تركه. قال ابن حجر في «التقريب»: ضعيف يرسل.
انظر: «الجرح والتعديل»: (٢/ ٤٣١)، و«الكامل» لابن عدي: (٢/ ٥٠١)، و«ميزان الاعتدال»: (١/ ٢٩٦)، و«سير أعلام النبلاء»: (٥/ ٣٧ ـ ٣٨)، و«تهذيب التهذيب»: (١/ ٤١٦)، و«التقريب»: (رقم٦٣٤).

(٢) أبو مالك سئل أبو زرعة عنه، فقال: كوفي ثقة لا أعرف اسمه. «الجرح والتعديل»: (٩/ ٤٣٥).

(٣) هو مرة بن شراحيل السكسي أبو إسماعيل الكوفي المعروف بمرة الطيب، ومرة الخير، وثقه ابن معين والعجلي وغيرهما وقال ابن حجر في «التقريب»: ثقة عابد.
انظر: «الجرح والتعديل»: (٨/ ٣٦٦)، و«سير أعلام النبلاء»: (٤/ ٧٤ ـ ٧٥)، و«تهذيب التهذيب»: (١٠/ ٨٨)، و«التقريب»: (رقم٦٥٦٢). =

والقافة[1] والحازة[2] فسألهم عنه فقالوا: يخرج من ملكك رجل يكون على وجهه هلاكك وهلاك ملكك، وكان مسكنه ببابل الكوفة، فخرج من قريته إلى قرية أخرى، فأخرج الرجال وترك النساء وأمر أن لا يولد مولود ذكر إلا ذبحه، فذبح أولادهم، ثم إنه بدت له حاجة في المدينة لم يأمن عليها إلا آزر أبا إبراهيم فدعاه فأرسله، وقال له: انظر لا تواقع أهلك، فقال له آزر: أنا أضن[3] بديني من ذلك. فلما دخل القرية نظر إلى أهله فلم يملك نفسه أن وقع عليها، ففر بها إلى قرية بين الكوفة والبصرة يقال لها أور فجعلها في سَرَب[4]، فكان يتعاهدها بالطعام والشراب وما يصلحها، وإن الملك لما طال عليه الأمر قال: قول سحرة كذابين، ارجعوا إلى بلدكم. فرجعوا، وولد إبراهيم، فكان في كل يوم يمر كأنه جمعة، والجمعة كالشهر، والشهر كالسنة من سرعة شبابه، ونسي الملك ذلك، وكبر إبراهيم لا يرى أن أحداً من الخلق غيره وغير أبيه وأمه. فقال أبو إبراهيم لأصحابه: إن لي ابنًا قد خبأته، أفتخافون عليه الملك إن أنا جئت به؟ قالوا: لا، فأت به. فانطلق فأخرجه، فلما خرج الغلام من السرب نظر إلى الدواب والبهائم والخلق، فجعل يسأل أباه: ما هذا؟ فيخبره عن البعير أنه بعير، وعن البقرة أنها بقرة، وعن الفرس أنه فرس، وعن الشاة أنها شاة، فقال: ما لهؤلاء الخلق بد من أن يكون لهم رب،

---

(١) القائف: الذي يعرف الآثار، والجمع قافة. «الصحاح»: (٤/ ١٤١٩).

(٢) مفردها حازي: وهو الذي يخط على الرمل. انظر: «شرح السنة»: (١٢/ ١٨٣).

(٣) أي: أبخل بديني. انظر: «لسان العرب»: (١٣/ ٢٦١).

(٤) السّرب: حفير تحت الأرض، وقيل: بيت تحت الأرض. «لسان العرب»: (١/ ٤٦٦).

وكان خروجه حين خرج من السرب بعد غروب الشمس فرفع رأسه إلى السماء فإذا هو بالكوكب وهوالمشتري. فقال: هذا ربي. فلم يلبث أن غاب، فقال: لا أحب الآفلين، أي لا أحب ربًّا يغيب. قال ابن عباس: وخرج من آخر الشهر فلذلك لم ير القمر قبل الكواكب، فلما كان آخر الليل رأى القمر بازغًا قد طلع، فقال: هذا ربي. فلما أفل يقول: غاب. قال: لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما أصب ورأى الشمس بازغة قال: هذا ربي هذا أكبر. فلما غابت، قال الله له: أسلم. قال: أسلمت لرب العالمين. فأتى قومه فدعاهم فقال: يا قوم إني بريء مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا»[1].

والرواية الثانية: قال ابن جرير: حدثني المثنى[2]، قال: ثنا أبو صالح[3]،

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك»: (١/ ١٢١).

(٢) هو المثنى بن إبراهيم الآملي، من شيوخ الطبري. ذكر الطبري اسمه كاملاً في موضع آخر. انظر: «تاريخ الأمم والملوك»: (١٠/ ٣٨٨). تحقيق محمد أبو الفضل ـ دار سويدان ـ بيروت ـ لبنان.

لم أعثر له على ترجمة فيما اطلعت عليه من كتب الرجال، إلا أن الدكتور عبد العزيز الحميدي قال: (لم أجد له ذكرًا فيما رأيته من كتب الرجال، غير أني وجدت الحافظ ابن كثير حسَّن سندًا كان من طريقه). «تفسير ابن عباس»: (١/ ٤٢).

(٣) هو عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني المصري، أبو صالح كاتب الليث بن سعد على أمواله (ت٢٢٣هـ). قال أحمد بن حنبل: كان أول أمره متماسكًا ثم فسد بآخره، وقال أحمد بن صالح: متهم ليس بشيء. وقال عنه أيضًا: لا أعلم أحدًا روى عن الليث عن ابن أبي ذئب إلا أبو صالح، وقال أبو حاتم أخرج أحاديث في آخر عمره أنكروها عليه، نرى أنها مما افتعل خالد بن نجيح، وكان أبو صالح يصحبه. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال ابن المديني: لا أروي عنه شيئًا. وقال ابن حبان: كان في نفسه صدوقًا، إنما وقعت المناكير في حديثه من قبل جار له. وقال ابن عدي: =

قال: ثني معاوية بن صالح(١)، عن علي بن أبي طلحة(٢)، عن ابن عباس

= هو عندي مستقيم الحديث، إلا أنه يقع في أسانيده ومتونه غلط ولا يتعمد. وقال الذهبي: هو صاحب حديث وعلم مكثر، وله مناكير.

ووثقه ابن معين وعبد الملك بن شعيب بن الليث. وقال ابن حجر في «التقريب»: صدوق، كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة.

انظر: «الجرح والتعديل»: (٥/ ٨٦)، و«الكامل» لابن عدي: (٤/ ١٥٢٢)، و«سير أعلام النبلاء»: (١٠/ ٤٠٥)، و«ميزان الاعتدال»: (٢/ ٤٤٠)، و«تهذيب التهذيب»: (٥/ ٢٥٦)، و«التقريب»: (رقم٣٣٨٨).

(١) هو معاوية بن صالح بن حيدر بن سعيد بن سعد بن فهر الحضرمي. أبو عمرو، قاضي الأندلسي (ت١٥٨هـ). كان يحيى بن القطان لا يرضاه، وقال أبو حاتم: لا يحتج به، وقال عنه ابن معين في رواية عنه: ليس بمرضي، وقال أبو إسحاق: ما كان بأهل أن يروي عنه.

ووثقه أحمد وأبو زرعة والعجلي والنسائي وابن معين في رواية أخرى وغيرهم. وقال ابن عدي: صدوق إلا أنه يقع في أحاديثه إفرادات. وقال ابن حجر: صدوق له أوهام.

انظر: «كتاب الضعفاء» للعقيلي: (٤/ ١٨٣)، و«الكامل» لابن عدي: (٦/ ٢٤٠٢)، و«ميزان الاعتدال»: (٤/ ١٣٥)، و«تهذيب التهذيب»: (١٠/ ٢٠٩)، و«التقريب»: (رقم٦٧٦٢).

(٢) هو علي بن أبي طلحة، واسم أبي طلحة سالم بن المخارق الهاشمي، مولى آل عباس بن عبد المطلب (ت١٤٣هـ). قال أحمد بن حنبل: له أشياء منكرات، وقال دحيم: لم يسمع علي بن أبي طلحة التفسير عن ابن عباس، وقال يعقوب بن سفيان: ضعيف الحديث منكر ليس محمود المذهب. وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: روى عن ابن عباس ولم يره ووثقه العجلي، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو داود: هو إن شاء الله مستقيم الحديث. قال ابن حجر: صدوق قد يخطئ، وأرسل عن ابن عباس ولم يره. انظر: «الجرح والتعديل»: (٦/ ١٨٨)، و«ميزان الاعتدال»: (٣/ ١٣٤)، و«تهذيب التهذيب»: (٧/ ٣٤٠)، و«التقريب»: (رقم٤٧٥٤). =

قال: (قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾: يعني به الشمس والقمر والنجوم. ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ فعبده حتى غاب، فلما غاب قال: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ﴾ فعبدها حتى غابت، فلما غابت قال: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾)[1].

أما الرواية الثالثة والرابعة: فهي عن ابن إسحاق، ولم يسندها إلى أحد.

فالثالثة: قال ابن جرير الطبري: حدثني محمد بن حميد[2] قال: ثنا

---

(١) «تفسير الطبري»: (٧/ ٢٤٨).

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن حميد بن حيان التميمي الرازي (ت٢٤٨هـ). رماه أبو حاتم الرازي وصالح بن محمد الأسدي وأبو زرعة وابن خراش والنسائي وابن وارة بالكذب، وأورد قصصًا تدل على ذلك. وقال فضلك: دخلت على ابن حميد وهو يركب الأسانيد على المتون. وقال يعقوب بن شيبة: محمد بن حميد كثير المناكير، وذكر ابن حبان أنه كان ممن ينفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبات، ولا سيما إذا حدث عن شيوخ بلده. وقال الذهبي: هو مع إمامته منكر الحديث، صاحب عجائب. وقال البخاري: في حديث نظر. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال الجوزجاني: رديء المذهب غير ثقة. وقال ابن عدي: تكثر أحاديث ابن حميد التي أنكرت عليه، أن ذكرناه على أن أحمد بن حنبل قد أثنى عليه خيرًا لصلابته في السنة. وقال أبو زرعة الرازي: سمعت محمد بن حميد، وكان عندي ثقة. وسئل ابن معين عنه، فقال: ثقة ليس به بأس. قال ابن حجر: حافظ ضعيف، وكان ابن معين حسن الرأي فيه.
انظر: «كتاب الضعفاء الكبير»: (٤/ ٦١)، و«الجرح والتعديل»: (٧/ ٢٣٢)، و«كتاب المجروحين»: (٢/ ٣٠٣)، و«الكامل» لابن عدي: (٦/ ٢٢٧٧ ـ ٢٢٧٨)، و«ميزان الاعتدال»: (٣/ ٥٣٠)، و«سير أعلام النبلاء»: (١١/ ٥٠٣)، و«تهذيب التهذيب»: (٩/ ١٢٧)، و«التقريب»: (٥٨٣٤). =

سلمة بن الفضل[1]، قال: ثني محمد بن إسحاق[2] فيما ذكر لنا والله

---

(١) هو سلمة بن الفضل الأبرش الأنصاري مولاهم أبو عبد الله الأزرق قاضي الري (ت١٩١هـ).
قال البخاري: عنده مناكير، وقال أبو حاتم: محله الصدق، في حديثه إنكار يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال ابن عدي: عنده غرائب، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: يخطئ ويخالف، وضعفه ابن راهويه والنسائي وأبو حاتم وغيرهم، ووثقه أبو داود وابن معين، وفي رواية أخرى عن ابن معين: ليس به بأس.
قال ابن حجر في «التقريب»: صدوق كثير الخطأ.
انظر: «كتاب الضعفاء» و«أجوبة أبي زرعة على البرذعي»: (٢/ ٣٦٢)، و«الضعفاء الكبير»: (٢/ ١٥٠)، و«الجرح والتعديل»: (٤/ ١٦٨)، و«ميزان الاعتدال»: (٢/ ١٩٢)، و«تهذيب التهذيب»: (٤/ ١٥٤)، و«التقريب»: (٢٥٠٥).

(٢) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، ويقال: كومان المدني، أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله، المطلبي مولاهم نزيل العراق (ت١٥١هـ). رماه بالكذب الإمام مالك وهشام بن عروة وسليمان التيمي ويحيى بن القطان ووهيب بن خالد، فقال مالك: إنه دجال من الدجاجلة، وقال عنه أيضًا: كذاب، وقال هشام بن عروة: محمد بن إسحاق كذاب، وقال في موضع آخر: أهو كان يدخل على امرأتي؟! يعني: محمد بن إسحاق ـ وضعفه يحيى بن معين في رواية عنه، وقال في رواية أخرى: لا يحتج به، وضعفه النسائي أيضًا، ووثقه يحيى بن معين في رواية ثالثة، والعجلي وابن سعد.
والخلاف فيه طويل، وسأقتصر على ما ذكرت من الأقوال، وسأذكر قول ابن حجر في «التقريب» فاصلاً بين الأقوال، قال ابن حجر: صدوق يدلس رمي بالتشيع والقدر.
قلت: أما رميه بالكذب فهو مستبعد، وما رُوي عن مالك في ذلك إنما ورد في حادثة بينهما، لا في روايته للحديث.
والحادثة هي: قال ابن إدريس: كنت عند مالك، فقال له رجل: إن محمد بن إسحاق يقول: اعرضوا عليَّ علم مالك فإني بيطاره. فقال مالك: انظروا إلى دجال من الدجاجلة يقول: اعرضوا عليَّ علم مالك.
وأما ما ورد عن هشام بن عروة في رمي ابن إسحاق بالكذب فسببه أن ابن إسحاق =

أعلم: (أن آزر كان رجلاً من أهل كوثى من قرية بالسواد «سواد الكوفة» وكان إذ ذاك مُلْك المشرق) لنمرود بن كنعان، فلما أراد الله أن يبعث إبراهيم حجة على قومه ورسولاً إلى عباده ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم نبي إلا هود وصالح، فلما تقارب زمان إبراهيم الذي أراد الله ما أراد، أتى أصحاب النجوم نمرود، فقالوا له: تعلم أنا نجد في علمنا أن غلامًا يولد في قريتك هذه يقال له: إبراهيم، يفارق دينكم ويكسر أوثانكم في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا، فلما دخلت السنة التي وصف أصحاب النجوم لنمرود، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده إلا ما كان من أم إبراهيم امرأة آزر، فإنه لم يعلم بحملها وذلك أنها كانت امرأة حدبة[1] ـ فيما ذكر ـ لم يعرف الحمل في بطنها، ولما أراد الله أن يبلغ بولدها أراد أن يقتل كل غلام ولد في ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذبح، فلما وجدت أم إبراهيم الطلق، خرجت ليلاً إلى مغارة

= روى عنه زوجته فاطمة بنت المنذر، وهشام ينكر أن يكون ابن إسحاق رآها أو دخل عليها، فإنكاره لهذا بحسب ما علم، وعلمه ليس بحجة في إثبات كذب الرجل، إذ يحتمل أن ابن إسحاق سمع منها وهشام لم يعلم بهذا.

وأما وهيب بن خالد ويحيى القطان فهما تابعا مالكًا في قوله، وأما سليمان التيمي فهو ليس من أهل الجرح والتعديل، وبذلك يكون رميه بالكذب لا يصح، ذكر هذا الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ.

انظر: «كتاب الضعفاء الكبير»: (٤/ ٢٣)، و«الجرح والتعديل»: (٧/ ١٩٤)، و«الكامل» لابن عدي: (٦/ ٢١١٦ ـ ٢١٢٥)، و«سير أعلام النبلاء»: (٧/ ٣٣ ـ ٥٥)، و«ميزان الاعتدال»: (٣/ ٤٧٠ ـ ٤٧٥)، و«تهذيب التهذيب»: (٩/ ٣٨ ـ ٤٦)، و«التقريب»: (رقم٥٧٢٥).

(١) الحدب: خروج الظهر ودخول البطن والصدر. «لسان العرب»: (١/ ٣٠٠).

كانت قريبة منها، فولدت فيها إبراهيم، وأصلحت من شأنه ما يصنع مع المولود، ثم سدت عليه المغارة، ثم رجعت إلى بيتها، ثم كانت تطالعه في المغارة فتنظر ما فعل فتجده حيًّا يمتص إبهامه ـ يزعمون والله أعلم ـ أن الله جعل رزق إبراهيم فيها وما يجيئه من مصه ـ وكان آزر ـ فيما يزعمون ـ سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل؟ فقالت: ولدت غلامًا فمات، فصدقها، فسكت عنها، وكان اليوم ـ فيما يذكرون ـ على إبراهيم في الشباب كالشهر، والشهر كالسنة، فلم يلبث إبراهيم في المغارة إلا خمسة عشر شهراً، حتى قال لأمه: أخرجيني أنظر، فأخرجته عشاءً، فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض، وقال: إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي، ما لي إله غيره، ثم نظر في السماء فرأى كوكبًا قال: هذا ربي، ثم اتبعه ينظر إليه ببصره حتى غاب، فلما أفل قال: لا أحب الآفلين، ثم طلع القمر فرآه بازغًا، قال: هذا ربي، ثم اتبعه ببصره حتى غاب، فلما أفل، قال: لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس أعظم الشمس ورأى شيئًا هو أعظم نورًا من كل شيء رآه قبل ذلك، فقال: هذا ربي، هذا أكبر، فلما أفلت قال: يا قوم إني بريء مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين. ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه، وبريء من دين قومه، إلا أنه لم يبادئهم بذلك وأخبر أنه ابنه، وأخبرته أم إبراهيم أنه ابنه، وأخبرته بما كانت صنعت من شأنه، فسر بذلك آزر وفرح فرحًا شديدًا، وكان آزر يصنع أصنام قومه التي يعبدونها، ثم يعطيها إبراهيم يبيعها، فيذهب بها إبراهيم ـ فيما يذكرون ـ فيقول: من يشتري ما يضره

ولا ينفعه، فلا يشتريها منه أحد، وإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر فضرب فيه رؤوسها وقال: اشربي، استهزاءً بقومه وما هم عليه من الضلالة، حتى فشا عيبه إياها، واستهزاؤه بها في قومه وأهل قريته من غير أن يكون ذلك بلغ نمرود الملك)[1].

والرواية الرابعة هي: قال ابن جرير: حدثني ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق: فلما أراد الله عز وجل أن يبعث إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن حجة على قومه، ورسولاً إلى عباده، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم عليه السلام من نبي قبله إلا هود وصالح، فلما تقارب زمان إبراهيم الذي أراد الله تعالى ذكره ما أراد أتى أصحاب النجوم نمرود ...[2]. وذكر نحو الرواية السابقة.

وأخرج أيضًا عبد بن حميد[3] وابن المنذر[4] وابن أبي حاتم[5]

---

(١) «تفسير الطبري»: (٧/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩).

(٢) «تاريخ الأمم والملوك»: (١/ ١١٩ ـ ١٢٠).

(٣) هو عبد بن حميد بن نصر الكشي، أبو محمد الإمام الحافظ الحجة. توفي سنة تسع وأربعين ومائتين.
«سير أعلام النبلاء»: (١٢/ ٢٣٥)، و«تهذيب التهذيب»: (٦/ ٤٥٥ ـ ٤٥٧).

(٤) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الفقيه، الإمام الحافظ العلامة، المجمع على إمامته وجلالته ووفور علمه وجمعه بين التمكن في علمي الحديث والفقه، توفي سنة ثمان عشرة وثلاثمائة.
انظر: «تهذيب الأسماء واللغات»: (٢/ ١٩٦)، و«سير أعلام النبلاء»: (١٤/ ٤٩٠ ـ ٤٩٢).

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد ـ ابن أبي حاتم ـ ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي أبو محمد، حافظ للحديث، توفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.
«تذكرة الحفاظ»: (٣/ ٨٢٩)، و«فوات الوفيات»: (٢/ ٢٨٧).

وأبو الشيخ[١] بنحو ما ذكر ابن عباس عن قتادة قال: ذكر لنا (أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فُرَّ به من جبار مترف، فجعل في سرب، وجعل رزقه في أطرافه . . .)[٢] وذكر الرواية.

وهذه الحادثة المنسوبة إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير الآيات المذكورة سابقًا من سورة الأنعام لا تصح لما يلي:

أولاً: أن الروايات الواردة عن ابن عباس وابن مسعود كلها ضعيفة.

فالرواية الأولى عنهما: فيها أسباط بن نصر، وأبو صالح باذام، وكلاهما ضعيف.

والرواية الثانية عن ابن عباس فيها: أبو صالح كاتب الليث: لا يحتج به، ومعاوية بن صالح: له أوهام، وعلي بن أبي طلحة: لم يسمع التفسير من ابن عباس.

أما الروايات الواردة عن إسحاق: فكلها ضعيفة أيضًا إذ أن كلتا الروايتين عنه رويت عن محمد بن حميد: وهو ضعيف، وسلمة بن الفضل: وهو ضعيف أيضًا، مع عدم إسناد ابن إسحاق الرواية لأحد، لكنه قال: (فيما ذكر لنا)، ولعلها مما رواها ابن إسحاق عن بني إسرائيل.

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد المعروف بأبي الشيخ. توفي سنة تسع وستين وثلاثمائة.

«سير أعلام النبلاء»: (١٦/ ٢٧٦)، و«هدية العارفين»: (١/ ٤٤٧).

(٢) «الدر المنثور»: (٣/ ٣٠٣).

وهذه الرواية لم أجدها فيما طبع من كتاب «المنتخب لمسند عبد بن حميد»، ولا فيما طبع من «تفسير ابن أبي حاتم»، ولا فيما طبع من «كتاب العظمة» لأبي الشيخ، ولا في «تفسير ابن أبي حاتم» المخطوط في الجامعة الإسلامية؛ إذ أن ما طبع من هذه الكتب كلها لم تصل طباعته إلى هذه الرواية بعد.

والرواية عن قتادة غير معتبرة أيضًا ـ وإن صح السند قبلها ـ؛ لأن قتادة لم يبين من ذكر له هذا، ولعلها من أخبار بني إسرائيل ـ كما سيأتي بيانه ـ.

ثانيًا: أن هذه الأخبار كلها مستندة إلى أخبار إسرائيلية لا يوثق بها، ولا سيما إذا خالفت الحق كما ذكر ابن كثير[١] ذلك، وقد أجمع المسلمون على أن ما نقل عن بني إسرائيل في الأنبياء المتقدمين لا يجوز أن يجعل عمدة في دين المسلمين إلا أن يكون منقولاً إلينا عن خاتم المرسلين نقلاً صحيحًا[٢].

ثالثًا: أن هذا التفسير لا يوافق ظاهر الآيات المذكورة، بل يناقضه، ويتبين ذلك من عدة أوجه:

الوجه الأول: أن هذه القصة لم تكن في طفولة إبراهيم، بل كانت بعد بعثته، وكان إبراهيم عارفًا بربه آنذاك، ويدل على ذلك أن الله ذكر محاجة إبراهيم لأبيه، كما ذكر أنه أراه ملكوت السموات والأرض، ثم أعقب هذا بذكر هذه القصة، فقال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي . . .﴾[٣] إلخ الآيات، فعطف هذه القصة على ما سبقها بالفاء التي تقتضي الترتيب والتعقيب. فهي إما معطوفة على محاجة إبراهيم لأبيه، فتدل على أن هذه القصة بعد مبعثه وبعد معرفته لربه، ودعوة قومه لعبادة الله وحده، وتكون آية: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾[٤] جملة معترضًا بها بين المعطوف والمعطوف عليه[٥].

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير: (١/ ١٣٥).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى»: (١٢/ ٥٧).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

(٥) انظر: «الكشاف»: (٢/ ٣٠ ـ ٣١).

وإما معطوفة على قوله تعالى؛ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ بالفاء التي تقتضي الترتيب والتعقيب، مما يدل على أن هذه القصة لم تقع إلا بعد أن عرف ربه وكان من الموقنين الصادقين[1].

الوجه الثاني: أن في قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾[2] دلالة على أنه كان بين قومه عند مقالته هذه، ومعلوم أنه عندما خرج من السرب ـ كما زعموا ـ لم يكن معه قومه، ودعوى أنه كان معه أبوه وأمه فخاطبهم بهذا الخطاب دعوى باطلة متكلفة، مع عدم استقامتها.

ودعوى أن هذا القول صدر منه فيما بعد ـ أي: بعد بعثته ـ دعوى متكلفة أيضًا يردها ظاهر الآية، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾[3]، فالآية دلت على أنه قال هذا القول عقب أفول الشمس.

الوجه الثالث: قوله: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[4]، وقوله: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾[5].

فقد أخبر الله تعالى في هذه الآيات أن المقام مقام مناظرة ومجادلة بينه

---

(١) انظر: «أضواء البيان»: (٢/ ٢٠١).
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٨.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٨.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨٠.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٨٣.

وبين قومه[1]، فكيف نصرف هذه الآيات إلى طفولة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

رابعًا: كيف يصح هذا القول في أبي الأنبياء عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ الذي قال الله في حقه: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[2] فمن معاني الرشد هنا إنكاره على قومه عبادتهم لهذه الأصنام في صغره، فتكون الآية الثانية: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ . . .﴾ مفسرة للرشد المذكور في الآية التي قبلها[3].

وقال الله فيه أيضًا: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[4]، فنفي الله كون الشرك الماضي عن إبراهيم، ونفي الكون الماضي يستغرق جميع الزمن الماضي، فثبت أنه لم يتقدم عليه شرك يومًا ما[5].

وقد ثبت في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على هذه الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء[6] هل تحسون فيها من جدعاء؟[7]**»[8]، وما رواه الإمام مسلم عن عياض بن حمار

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٢/ ١٥٢)، و«أضواء البيان»: (٢/ ٢٠١).

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ٥١ ـ ٥٢.

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٣/ ١٨١ ـ ١٨٢).

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٠.

(٥) «أضواء البيان»: (٢/ ٢٠١).

(٦) أي سليمة من العيوب، مجتمعة الأعضاء كاملتها، فلا جدع بها ولا كي. «النهاية في غريب الحديث»: (١/ ٢٩٦).

(٧) أي: مقطوعة الأطراف، أو واحدها. «النهاية في غريب الحديث»: (١/ ٢٤٧).

(٨) أخرجه البخاري: (٢/ ١٩٩)، كتاب الجنائز، ومسلم: (٨/ ٥٣)، كتاب القدر.

المجاشعي[1] أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته[2] عبدًا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا . .**»[3].

وقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة، فكيف يكون إبراهيم الخليل الذي جعله الله أمه قانتًا لله حنيفًا ولم يكن من المشركين ناظرًا في هذا المقام؟ بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة، والسجية المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب[5].

وذهب آخرون إلى حمل قول إبراهيم في هذه الآيات على أول أحوال تكليفه في مهلة النظر، التي لا حرج على من أخطأ فيها ـ كما يزعمون ـ، وأنه تحيّر في ربه من هو؟ ورأى أشرف الجهات جهة السماء العلوية،

---

(١) هو عياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجية بن عقال بن محمد المجاشعي التميمي، صحابي جليل سكن البصرة، وعاش إلى حدود الخمسين. «تهذيب التهذيب»: (٨/ ٢٠٠)، و«الإصابة»: (٣/ ٤٧).

(٢) أي: أعطيته، وفي الكلام حذف، أي قال الله تعالى: «كل ما أعطيته عبدًا من عبادي فهو حلال»، والمراد إنكار ما حرموا على أنفسهم كالسائبة والوصيلة وغيرها. «شرح النووي على صحيح مسلم»: (١٧/ ١٩٧).

(٣) أخرجه مسلم: (٨/ ١٥٩)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٥) «تفسير ابن كثير»: (٢/ ١٥٢).

وأشرف ما فيها هذه الجواهر المضية فقال في نفسه: انظر هل يجوز أن يكون أحد هذه الأشياء ربك؟ وبهذا قال محمد بن إبراهيم الوزير[(١)] وأبو بكر البيهقي[(٢)] وغيرهم.

واستدل ابن الوزير على ذلك (بأن هذا القول يوجبه ظاهر الآية، وأن القول بأن إبراهيم كان مناظرًا محتجًا عليهم لا يحصل به غرض، وفيه بُعد لا يحصل به غرض؛ لأن الاستدلال بقول إبراهيم: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأَفِلِينَ﴾ على إثبات الصانع ضعيف، وذلك لما يأتي:

أولاً: أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ رأى النجم على حالة واحدة، ولم يره ساكنًا.

ثانيا: أنه رآه ينتقل في السماء من جهة المشرق إلى جهة المغرب، فما الفرق بين ذلك التنقل وبين التنقل من السماء إلى غير السماء.

ثالثًا: قد كان يعلم حين رأى القمر بازغًا أنه قبل طلوعه آفلٌ، فلم يكن أفوله الثاني بأدل على عدم إلٰهيته من أفوله الأول.

رابعًا: أن الحجة كانت تلزم خصمه حين أبطل ربوبية النجم فلم أعادها في القمر والشمس وهي واحدة؟ ألا ترى أنه يحسن أن يحتج على كل نجم بذلك؟[(٣)]

---

(١) انظر: «البرهان القاطع في إثبات الصانع»: ص٥٨.
وابن الوزير هو محمد بن إبراهيم بن الوزير بن عليّ المرتضي العفيف الحسني الفاسي الصنعاني عز الدين اليمني الشهير بابن الوزير. توفي سنة أربعين وثمانمائة.
انظر: «الضوء اللامع»: (٦/ ٢٧٢)، و«هدية العارفين»: (٢/ ١٩٠).

(٢) انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي: ص٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٣) انظر: «البرهان القاطع في إثبات الصانع»: ص٥٧ ـ ٥٩.

وأما أن فيه بعدًا فلوجوه:

الوجه الأول: أنه خلاف الظاهر، ولا موجب للتأويل.

فإن قلت: الموجب له أن لا تنسبه إلى الجهل بالله. قلت: هو جائز عندنا في مهلة النظر.

الوجه الثاني: أنه حين قال في القمر: هذا ربي تأخر عن الجواب إلى أن غرب القمر في آخر الليل، ثم فعل ذلك في الشمس فتأخر في الجواب من طلوعها إلى غروبها، وذلك يبعد من المحتج على الخصم لوجهين:

أحدهما: أن الخصم لا ينتظره في المجلس يتطلب الجواب ليلة ويومًا.

الثاني: أن المحتج على الغير لا يجوز أن يسلم للغير ما يدعي، إلا ويبين في تلك الحال أن تسليمه تسليم جدل، ويتعقبه من غير تراخ بإبطال كلامه.

الوجه الثالث: مما يدل على بعد أن ذلك منه عليه السلام على سبيل الاحتجاج على الغير، أنه قال عقب أفول القمر: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي . . .﴾ الآية، وهذا لا يقوله في مثل هذا الحال إلا المتحيّر.

الوجه الرابع: قوله في الشمس: ﴿هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُ﴾، فإن قوله: ﴿هَٰذَآ أَكۡبَرُ﴾ لا يليق بحالة المناظر.

الوجه الخامس: أنه يجب أن يكون نزاعه إما لواحد يعبد هذه الثلاثة؛ النجم والقمر والشمس، أو لاثنين أو لثلاثة يعبد كل واحد منهم واحدًا من هذه الكواكب، والقول بهذا من غير نقل بعيد، وإنما الذي في القرآن أنها كانت تعبد في زمانه الأصنام.

الوجه السادس: أنه قال: هذا ربي، ولم يقل للخصم: هذا ربك، ولا قال: هذا ربنا، ولا هذا رب، وقل ما يتفق مثل هذا من منكر لربوبية شيء قاطع ببطلانها، وإن كان جائزًا.

الوجه السابع: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾، فهذا يشعر بأن علة رؤيته للكوكب جنون الليل عليه، وعلة قوله: هذا ربي: رؤية الكوكب.

الوجه الثامن: أن الآية تدل على أنه لم يكن قد رأى النجوم ولا القمر ولا الشمس لأنه لو كان قد عرفهن لما كان لترتيب إبطال ربوبية النجم على إبطال ربوبية القمر، وإبطال ربوبية القمر على إبطال ربوبية الشمس معنًى رأسًا، ولا كان لانتظاره لأفولها معنى؛ لأن أفولها فيما مضى من الزمان قد كان عالمًا به، فكان علمه به مغنيًا له في الاحتجاج عن انتظار الأفول المستقبل.

الوجه التاسع: قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ...﴾ الآية، فدلت الآية على أن الله أراه الملكوت ليوقن بالله، ويستدل عليه، لا ليناظر ويجادل.

الوجه العاشر: قوله تعالى في آخر حكاية إبراهيم: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾، وموضع الاحتجاج من الآية أنه عطف على هذه القصة قصة أخرى معناها أن إبراهيم تحاج هو وقومه، فلو كانت هذه القصة الأولى محاجة بين إبراهيم وبين قومه لما حسن بعد الفراغ منها أن يقال: وحاجه قومه)[1].

---

(١) المصدر السابق نفسه: ص٥٩ ـ ٦٤.

* **الرد على هذه المزاعم :**

قبل الشروع في الرد على القائلين بأن إبراهيم كان مناظرًا مستدلاً بالكواكب على ربه وصانعه بعد بلوغه أريد أن أرد إجمالاً على القائلين بأن أول واجب على المكلف هوالنظر والاستدلال على الصانع[(١)]، وأن طريقه أن العالم إما جوهر أو عرض وهو ممكن أو محدَث، والمحدَث لا بد له من محدِث، والمحدِث إما أن يكون واجب الوجود أو ممكنًا، فإذا كان واجب الوجود فهذا المطلوب، وإن كان ممكنًا فلا بد له من مؤثر، وهذا يؤدي إلى الدور أو التسلسل، أو الانتهاء إلى مؤثر واجب الوجوب لذاته، والأول والثاني باطل، فتعيّن الأخير[(٢)]، وذلك لأن منشأ نسبة أن إبراهيم اعتقد بعد بلوغه أن الكوكب ربه هو هذا الأصل الفاسد، ويتضح فساده مما يلي:

أولاً: أن سبيل معرفة الله والإيمان به ومعرفة شرعه عن طريق الرسل، وليس النظر والمقدمات والنتائج كما يزعم هؤلاء، وهذا ما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة، منها قوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[(٣)].

وقوله: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[(٤)]، وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ

---

(١) انظر: «المواقف في علم الكلام»: ص٢٨ ـ ٣٢، و«شرح جوهرة التوحيد»: ص٣٥.

(٢) انظر تفصيل ذلك في: كتاب «المواقف في علم الكلام»: ص٢٢٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

ثم إن أول ما يجب على المكلف هو شهادة أن لا إله إلا الله وليس كما يزعم هؤلاء أن أول واجب هو النظر، والأدلة على هذا كثيرة جدًّا نذكر منها على سبيل الإيجاز:

قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾[2].

وما رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبي ﷺ معاذًا نحو اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم . . .**»[3].

الثاني: أن الإقرار بالصانع، وبأن لكل محدَث محدِثًا أمر فطري ضروري لا ينكره أحد، وطريقة القرآن لا تقتصر على الإقرار بالصانع فقط ـ كما هو غاية أصحاب الطرق الكلامية ـ بل لا بد من العلم به والعمل له[4]، وهذا ما دلت عليه النصوص كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[5].

الثالث: أن استدلالهم هذا على حدوث العالم بأن الأجسام محدثة،

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٣) أخرجه البخاري: (٩/ ٢٠٤)، كتاب التوحيد، ومسلم: (١/ ٣٧)، كتاب الإيمان.

(٤) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (٢/ ١٢).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١.

واستدلالهم على ذلك بأنها لا تخلو من الحوادث، ولم تسبقها، وما لم يخل من الحوادث ولم يسبقها فهو محدث، هو الذي بنى عليه نفاة الصفات معتقداتهم، وعطلوا ما عطلوه حتى صار منتهى قولهم كقول الذين يجحدون الخالق، وينسبون هذا الاستدلال إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحاشاه من ذلك[1].

الرابع: أن هذه المقدمات التي يبنون عليها وجود الصانع كنتيجة، هي من وساوس الشيطان التي أمر النبي ﷺ بالتعوذ منها[2] فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك، فإذا بلغه فليستعذ بالله، ولينته**»[3]، فكيف يكون ما نهى النبي ﷺ عنه طريقًا موصلاً إلى معرفة الله؟

وأما الرد على قولهم: إن إبراهيم كان ناظرًا، ففيه مسلكان: إجمالي، وتفصيلي.

- **المسلك الأول: الرد الإجمالي: ويرد عليهم بما يلي:**

أولاً: أن معرفة الأنبياء بالله وبشرائعه ومبدأ هذه المعرفة تكون عن طريق الوحي، لا بالنظر[4] وهذا ما دلت عليه الأدلة، منها:

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (١٣/ ١٤٧).

(٢) انظر: «دقائق التفسير»: (٣/ ٢٦٥، وما بعدها). وللتوسع في الرد عليهم انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (٢/ ١ ـ ٣٨).

(٣) أخرجه البخاري: (٤/ ٢٥٠)، كتاب بدء الوحي، ومسلم: (١/ ٨٤)، كتاب الإيمان.

(٤) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (٢/ ١).

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

وقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[2].

ثانيًا: أن هذه القصة في بيان أن المستحق للعبادة هو الله وحده، وليست في إثبات أن خالق هذا الكون هو الله، ومن غير المعقول أن يعتقد إبراهيم عليه السلام أن الكوكب أو القمر هو خالق السموات والأرض، أو أن الشمس هي الخالقة بناءً على أنها أكبر، هذا لا يعتقده إلا مخبول، ولم يكن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ يقصد به أنه رب العالمين، وأنه الصانع لهذا الكون، بل ولم يكن هذا اعتقاد قومه، بل كانوا مقرين بوجود رب العالمين، ولكن كانوا يشركون معه بعبادة هذه الكواكب والأصنام[3]، ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4]، وقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[5].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٢) سورة الضحى، الآية: ٧.

(٣) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (٥/٥٤٨ ـ ٥٥٠)، (٦/٥٤٨ ـ ٥٤٩)، «الفصل في الملل والنحل»: (٤/١٧).

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ ـ ٧٧.

(٥) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

فحاصل القول: أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن جاهلاً بخالق السموات والأرض، ولم يكن قومه أيضًا جاحدين له حتى يقال: إنه استدل على الصانع، أو نحو ذلك.

ـ **المسلك الثاني: الرد التفصيلي: ويكون الرد فيه بما يلي:**

أما قوله: (لا يحصل به غرض لأن الاستدلال بقول إبراهيم: إني ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ على إثبات الصانع ضعيف . .)، فالجواب عنه من وجهين:

الوجه الأول: الحمد لله الذي أنطقك بالحق، وجعل حجتك ردًّا على مذهبك، ومن فمك أدينك، فما دام أن قول إبراهيم: إني ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ على إثبات الصانع ضعيف، فلم تقول: إن إبراهيم استدل بهذه الطريقة على صانعه؟ وما دامت هذه الطريقة ضعيفة فلن تؤدي به إلى الطريق الصحيح، بل تؤدي به إلى الشك أو إلى الضلال ـ عياذًا بالله من ذلك ـ، فإذا بطل أن تكون هذه الطريقة في إثبات الصانع تعين أن تكون في إثبات أن الله هو المنفرد بالألوهية وحده.

الوجه الثاني: أن القائلين بأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان محتجًّا على قومه إنما قالوا بأنه كان محتجًّا عليهم مناظرًا لهم لإثبات ألوهية الله وحده، لا لإثبات الصانع، فقوم إبراهيم لم يكونوا منكرين للصانع كما أسلفت في الرد الإجمالي.

ثم لو ادعى أحد أنها ضعيفة أيضًا في إثبات انفراد الله تعالى بالألوهية واستدل بما سلف من الأدلة على ضعف هذه الطريقة رد عليه بما هو آتي:

أما الدليل الأول: وهو أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ رأى النجم على حالة واحدة ولم يره ساكنًا، ودليله الثاني: ما الفرق بين التنقل من السماء إلى غير السماء، وبين انتقاله من المشرق إلى المغرب؟ ودليله الثالث: لا يكون

الأفول الذي بعد الطلوع بأدل من الأفول قبل الطلوع على عدم الإلهية، فالجواب عنه من وجهين:

الوجه الأول: أن المعترض يريد بهذا إثبات أن الحركة تدل على الحدوث، وأن الأجسام لا تخلو من الحوادث، وإثبات أن هذه الطريقة هي طريقة إبراهيم عليه السلام، ليتوصلوا بذلك إلى نفي الصفات الاختيارية عن الله تعالى، فنفوا أنه متكلم بمشيئته وقدرته، وأنه ينزل متى شاء أن ينزل، وغيرها من الصفات الاختيارية، واعتقدوا أنهم أثبتوا الرب بهذا، وأنه ذات مجردة عن الصفات، وهذا الكلام باطل شرعًا وعقلاً وفطرةً، وهو ليس طريق الأنبياء، ولم يكن حال الصحابة علم بالاضطرار، ومن عرف ما جاء به الرسول، وما كان عليه الصحابة علم بالاضطرار أن الرسول والصحابة لم يكونوا يسلكون هذا المسلك، ومن عرف حقيقة هذا القول علم أنه ليس بطريق موصل إلى معرفة الله، بل إنما يوصل من اعتقد صحته إلى الجهل والضلال، ومن تبين له تناقضه أوصله إلى الحيرة والشك، ولهذا صار حذاق سالكيه ينتهون إلى الحيرة والشك[1].

الوجه الثاني: أن إبراهيم عليه السلام لم يستدل بالحركة والسكون على أن هذه الكواكب حادثة لا تصلح للألوهية، لذلك لم يقل: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ لما رأى الكوكب يتحرك والقمر والشمس، بل إنما قال ذلك حين غاب واحتجب، فليس معنى أفل تحرك في لغة العرب[2]، وإنما معناها غاب واحتجب[3].

(١) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (١٣/ ١٤٧ ـ ١٥٢).

(٢) «منهاج السنة النبوية»: (٢/ ١٩٦).

(٣) انظر: «الصحاح»: (٤/ ١٦٢٣)، «لسان العرب»: (١١/ ١٨).

أما قوله: (إن القول بأن إبراهيم كان مناظرًا لقومه محتجًا عليهم فيه بُعدٌ لوجوه:

الوجه الأول: أنه خلاف الظاهر ولا موجب للتأويل . . .).

قلت: بل قوله الذي فيه بُعْدٌ وخلاف الظاهر، فقد خالفوا بطريقتهم هذه الرسول وخالفوا ظاهر الآية. فأما مخالفتهم للرسول فباتباع طريقة النظر وجعلهم هذه الطريقة أول واجب على المكلف، وقد أسلفت الرد على هذه الطريقة. وأما مخالفتهم لظاهر الآية فمن عدة وجوه:

الوجه الأول: تعطيل العطف الوارد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ . . .﴾ الذي يفيد الترتيب، مما يدل على أن إبراهيم قال مقالته تلك بعد أن رأى ملكوت السموات والأرض، أو بعد مناقشته لأبيه آزر بشأن عدم صلاحية الأصنام للعبادة[1].

الوجه الثاني: قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، فادعاؤكم أن هذا الكلام موجه إلى أم إبراهيم عليه السلام وأبيه، أو إلى أنها حادثة حدثت فيما بعد بينه وبين قومه لا يستقيم مع دعوى الظاهر؛ حيث إنه من المعلوم أن إبراهيم لما خرج من الغار ـ كما تزعمون ـ لم يكن معه لا قوم ولا صنم[2]. أما القول بأن إبراهيم كان مناظرًا لقومه فهو لا يحتاج إلى مثل هذا التأويل.

الوجه الثالث: قوله تعالى بعد أن ذكر هذه القصة: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾، ولم يقل: على نفسه، فعلم أن هذه المباحثة

(١) انظر: «الكشاف»: (٢/ ٣٠)، و«التفسير الكبير»: (١٣/ ٤٩ ـ ٥٠).

(٢) انظر: «التفسير الكبير»: (١٣/ ٥١).

إنما جرت بين إبراهيم وقومه لأجل أن يرشدهم إلى الإيمان والتوحيد، لا لأجل أن يطلب إبراهيم الدين والمعرفة لنفسه[(١)].

وغير هذه الوجوه التي تبين أنهم هم الذين سلكوا مسلك التأويل.

أما على القول بأن إبراهيم كان مناظرًا، فإننا نأخذ اللفظ على ظاهره ـ كما سيأتي بيانه مفصلاً في الترجيح إن شاء الله ـ.

وأما قوله في الوجه الثاني: (إن الخصم لا ينتظره في المجلس يتطلب الجواب ليلة ويومًا): فهذا تحكم لا دليل عليه، ويمكن أن يلزم بمثل هذا في مذهبه، ثم يتهافت هذا الاستدلال إذا عرفنا أن عباد الكواكب كانوا يتحرونها ويتحرون ساعات أوجها، فلا يبعد أن يكون جالسًا معهم ليلة من الليالي ينهاهم عن عبادة الكواكب، فطلعت الكواكب، فأخذ يناظرهم ويستدل على عدم استحقاقها لشيء من العبادة[(٢)].

أما قوله: (إن المحتج على الغير لا يجوز أن يسلم له ما يدعيه إلا ويبين أن تسليمه تسليم جدل): فالجواب عنه: أن إبراهيم عليه السلام لم يقصد بقوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ التسليم، وإنما ذكر ذلك بصيغة الاستفهام الإنكاري[(٣)]، أو في الآية تقدير: هذا ربي على زعمكم[(٤)] ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله ـ.

أما قوله في الوجه الثالث: (إن قول إبراهيم: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ لا يقوله إلا المتحيّر): فالجواب عليه: أن الالتجاء إلى الله بطلب الهداية

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر نفسه: (١٣/٥٨).

(٣) انظر: «تفسير الطبري»: (٧/٢٥٠)، «تفسير القرطبي»: (٧/٢٦).

(٤) «تفسير القرطبي»: (٧/٢٦).

منه هو من كمال التوحيد، فمن عرف ربًّا يلتجأ إليه، ويطلب الهداية منه، هل يقال: إنه متحير أو محتاج إلى النظر ليعرف ربه[1]؟ فهذا دليل عليهم لا لهم، وإنما أورد إبراهيم عليه السلام هذا الكلام في هذا المقام إرشادًا لقومه أن يطلبوا الهداية من الله، وتعريضًا بضلالهم في عبادة هذه الكواكب[2]، وتوجيهًا لهم بأن المستحق للعبادة هو الله وحده الذي تطلب منه الهداية، ثم إن فيها تنبيهًا بأن الله هو المتصرف في الكون وحده، وبيده تدبير كل شيء، والذي يؤكد هذا المعنى: التدرج الذي اتبعه إبراهيم في إثبات الحجة على قومه؛ فبيَّن أولاً أن ما كان آفلاً لا يصلح للعبادة، وبيَّن ثانيًا تلميحًا أن من اتجه لهذه الكواكب كان ضالاً، وبيَّ ثالثًا التصريح بأنهم على الشرك، والبراءة منهم بعد أن قامت الحجة عليهم وظهر الحق[3].

أما قوله في الوجه الرابع: (أن قول إبراهيم في الشمس: ﴿هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ﴾ لا يليق بحالة المناظرة): فالجواب عنه: أن إبراهيم عليه السلام كان يجادل ويناظر المنجمين وعباد الكواكب، ومذهب هؤلاء المنجمين أن الشمس هي رئيسة الكواكب في الفلك، وهي في العالم بمنزلة جرم القلب في البدن، وسائر أجرام الكواكب والأفلاك بمنزلة أعضاء البدن ومفاصل الجسد[4]، لذلك كانت مناسبة قوله: ﴿هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ﴾ عظيمة، إذ به يلفت الانتباه إلى أن هذه الشمس وهي أكبر الأجرام ـ عندكم ـ منزلة وحجمًا وضياءًا لا تصلح أن تكون إلٰهًا، فمن باب أولى ما دونها من

---

(١) انظر: «الملل والنحل»: (٢/ ٥٢).

(٢) انظر: «الكشاف»: (٢/ ٣١).

(٣) انظر: «الإنصاف فيما تضمنه الكشاف عن الاعتزال»: (٢/ ٣٠ ـ ٣١).

(٤) انظر: «رسائل إخوان الصفا»: (٢/ ٤٢٣).

سائر الكواكب، وهذا اللفظ يؤكد أن إبراهيم كان مناظرًا لهؤلاء الذين يزعمون ألوهية الكواكب[1] إذ لو كان يقصد الاستدلال على الألوهية بمطلق الكبر، لكان توجيه الاستدلال بالسماء أولى وأحرى؛ لأنها أكبر حجمًا من الشمس بلا شك ولا ريب.

أما اعتراضه في الوجه الخامس، وهو (أنه لم يدل دليل على عبادة قوم إبراهيم للكوكب): فالجواب عنه: أن هذه الآيات دلت على إنهم كانوا يعبدون الكواكب، لذلك كانت مناظرة إبراهيم لقومه ليصرفهم عن هذا الشرك، ويوجههم إلى عبادة الله وحده.

أما الاعتراض في الوجه السادس، وهو (أنه قال للخصم: هذا ربي، ولم يقل: هذا ربنا، ولا هذا رب . .): فالجواب عنه: أن قول إبراهيم ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ إنما كان على صيغة الاستفهام الإنكاري، حتى إذا قرر قومه ذلك أبطل معتقدهم بالحجة القاطعة، ولا شك أن استخدام مثل هذا الأسلوب أدعى للقبول.

أما اعتراضه في الوجه السابع، وهو (أن علة قول إبراهيم ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ رؤية الكوكب): فالجواب عنه أنه صحيح أن قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي . . . ﴾ يشعر بأن علة رؤية الكوكب، جنون الليل عليه، وعلة قوله: هذا ربي، رؤية الكوكب، ولكن لا يدل ذلك على حصر العلة في هذا، وانتفاء وجود علل أخرى، لذلك فإن حجتكم هذه لا تدل على انتفاء أن تكون علة قوله: ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ أيضًا احتجاج ومناظرة إبراهيم لقومه.

---

(١) انظر: «التفسير الكبير»: (١٣/ ٦٠).

أما قوله: (الوجه الثامن: أن الآية تدل على أنه لم يكن قد رأى النجوم، ولا القمر ...)، والاحتجاج به ينحصر في أمرين: الأول: قوله: (ليس لترتيب إبطال ربوبية النجوم على إبطال ربوبية القمر، وإبطال ربوبية القمر على إبطال ربوبية الشمس معنى رأسًا): فالجواب عنه: لم تكن هذه المناظرة لإبطال ربوبية الكواكب بمعنى إبطال أنها هي الصانعة لهذا الكون. بل هي لإبطال استحقاق هذه الكواكب للعبادة كما أسلفت الكلام على هذا. ثم إن لترتيب إبطال أن تكون مستحقة للألوهية معنى كبيرًا في الإقناع، وإفحام الخصم؛ لأن الأخذ من الأدنى فالأدنى إلى الأعلى فالأعلى له نوع تأثير في التقرير والبيان والتأكيد، لا يحصل من غيره، فكان ذكر الاستدلال على هذا الوجه أولى[1].

والأمر الثاني من الاعتراض: (أن علمه بأفول الكوكب والقمر والشمس مغني في الاحتجاج عن انتظار الأفول المستقبل)، والرد عليه: أن انتزاع عقيدة توارثها الخلف عن السلف من الصعوبة بحال، لذلك لابد وأن تكون الحجة قوية وحكيمة حتى تكون أدعى للقبول، ولا شك أن الاستدلال الذي يجمع بين القول والحس أقوى من الاستدلال القولي المجرد عن الحس، لذلك كان انتظار أفول هذه الأجرام، والاستدلال بعدم صلاحيتها للألوهية أدعى لإجابة قومه من مجرد القول[2].

أما اعتراضه التاسع، وهو (أن الله أرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليوقن بالله ويستدل، لا ليناظر): فالجواب عنه: أنه قصد بهذا

---

(١) انظر: «التفسير الكبير»: (١٣/ ٦٠).

(٢) انظر: «روح المعاني»: (٧/ ١٩٩).

الاعتراض أن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ...﴾ تفصيل لما ذكر من أن الله أراه ملكوت السموات والأرض، وهذا خطأ من وجوه:

الوجه الأول: أن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ...﴾: معطوف على قوله تعالى: ﴿۞وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ...﴾، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾ جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه، مقررة لما سبق ولحق[1]، فكونه بلغ مرتبة الموقنين يقضي باستحالة أن يعتقد ألوهية هذه الأصنام والكواكب التي يعبدها قومه[2]، وإما أن تكون معطوفة على قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ...﴾ كما سبق بيانه في أول الردود.

ثانيًا: أن معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ...﴾ يختلف عن المعنى الذي ذهبوا إليه في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ...﴾، وذلك لأن الله هو الذي أرى إبراهيم في الآية الأولى، أما المعنى الذي ذهبوا إليه في الآية الثانية أن إبراهيم هو الذي استدل حتى توصل إلى الخالق.

ثالثًا: لو سلمنا جدلاً أن الآية الثانية: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ...﴾ تفسير للآية التي قبلها: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ...﴾ فما مناسبة ذكر الأرض في الآية الأولى، إذ أن الكواكب والقمر والشمس من السماء، وليس منها شيء في الأرض.

رابعًا: أن اليقين ليس بمعنى الاستدلال على الله، ولا يكون الاستدلال مترتبًا على اليقين، لأن اليقين هوالعلم وزوال الشك[3]، فمن

---

(١) انظر: «الكشاف»: (٢/ ٣٠).

(٢) انظر: «تفسير روح المعاني»: (٧/ ١٩٨).

(٣) انظر: «الصحاح»: (٦/ ٢٢١٩).

حصل له العلم بربه لا يحتاج إلى الاستدلال ليتوصل إلى معرفة ربه، بل يناظر المخالفين، ويقيم عليهم الحجة، فيكون هذا دليلاً على مذهبهم، لا له.

وبهذا يتبين أن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ . . .﴾ لا تصلح أن تكون تفسيرًا للآية التي قبلها.

أما اعتراضه العاشر، وهو (أن الله عطف على هذه القصة قصة أخرى معناها أن إبراهيم تحاج مع قومه): فالجواب عنه: إن هذه قصة واحدة، وليست قصتين، والمعنى أن إبراهيم بعد أن قرر عقيدة التوحيد، وأن الله هو المستحق للعبادة وحده جادله قومه فيما ذهب إليه بشبه من القول، فكان جوابه عليهم: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾؛ أي: تجادلونني في أمر الله، وأنه لا إله إلا هو وقد بصرني وهداني إلى الحق[1]. وهذا معنى مستقيم لا إشكال فيه.

فمن هذا يتضح أن إبراهيم كان مناظرًا لقومه، مستدلاً عليهم، مبينًا فساد اعتقادهم في ألوهية الكواكب وإشراكها مع الله في العبادة، وقد أغنت الردود عن سرد الأدلة، واختلف القائلون بهذا القول في توجيه قول إبراهيم: ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ على أقوال، منها:

الأول: أن إبراهيم ذكر كلامًا يوهم كونه مساعدًا لهم على مذهبهم بالقول بربوبية الكواكب مع أن قلبه كان مطمئنًا بالإيمان، ومقصوده من ذلك أن يتمكن من ذكر الدليل على إبطاله وإفساده، وأن يقبلوا منه[2].

قلت: هذا التوجيه لا يصح لما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله

---

(١) انظر: «الكشاف»: (٢/ ٣٢ ـ ٣٣)، و«تفسير ابن كثير»: (٢/ ١٥٢).

(٢) انظر: «التفسير الكبير»: (١٣/ ٥٠)، و«تفسير القرطبي»: (٧/ ٢٦).

عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات**[١] ثنتين منهن في ذات الله عز وجل؛ قوله: ﴿إني سقيم﴾، وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾. قال: بينا هو ذات يوم وسارة إذا أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه، فسأله عنها: فقال: من هذه؟ قال: أختي . . .»[٢].

ففي هذا الحديث حصر لكذبات إبراهيم عليه السلام، وإشارة إلى أنها أعظم ما صدر منه عليه السلام[٣]، ولم يجعل من ضمنها قوله: ﴿ هَٰذَا رَبِّي﴾[٤]، فدل ذلك على أن هذا القول لم يصدر من خليل الرحمن كذبًا. ثم إن إبراهيم عليه السلام قد اشتهر عنه ذكر آلهتهم بسوء، كما أخبر الله عن ذلك بقوله: ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾، وعلى هذا فلا فائدة في التورية هنا.

الثاني: أن قوله: ﴿ هَٰذَا رَبِّي﴾ معناه هذا ربي في زعمكم واعتقادكم، وهذا الإضمار معروف في العربية، قال تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾[٥]، وقال: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾[٦]؛ أي: في زعمكم واعتقادكم[٧].

---

(١) إنما أطلق عليه أنها «كذبات» لكونه قال قولاً لا يعتقده السامع كذبًا، لكنه إذا حقق فيه وجده من باب المعاريض المحتملة لأمرين. انظر: «شرح النووي»: (١٥/ ١٢٤)، و«تفسير ابن كثير»: (٤/ ١٣)، و«فتح الباري»: (٦/ ٣٩١).

(٢) أخرجه البخاري: (٤/ ٢٨٠)، كتاب الأنبياء، ومسلم: (٧/ ٩٨)، كتاب الفضائل.

(٣) انظر: «الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال»: (٢/ ٣١).

(٤) انظر: «فتح الباري»؛ (٦/ ٣٩١).

(٥) سورة طه، الآية: ٩٧.

(٦) سورة فصلت، الآية: ٤٧.

(٧) انظر: «التفسير الكبير»: (١٣/ ٥٢)، و«تفسير القرطبي»: (٧/ ٢٦).

الثالث: أن المراد الاستفهام على سبيل الإنكار، والمعنى: أهذا ربي؟ وهذا أسلوب معروف في العربية، كقول الله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ﴾[1]؛ أي: أفهم الخالدون؟[2]

قلت: كلا التقديرين الأخيرين تطمئن إليه النفس ـ والله أعلم ـ، ويكون المعنى: أن إبراهيم كان مستدلاً على قومه، مناظرًا لهم، يريد بمناظرته هذه إبطال عبادة هذه الكواكب بإقامة الحجة الواضحة، التي لا يشكل على الخصم فهمها، وبالأسلوب الحكيم الذي تتقبله النفوس وتلين معه، فبيّن لهم أن هذه الكواكب لا تصلح أن تكون آلهة، فقال لهم: هذا ربي في زعمكم واعتقادكم؟ أو قال لهم بصيغة الاستفهام الإنكاري: أهذا ربي؟ فأجابوه نعم، فلما أفل بين أن هذا الآفل لا يستحق أن يكون إلهًا معبودًا بقوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾، فلما بزغ القمر سألهم السؤال نفسه، وأجابوه بالإجابة نفسها، فلما أفل بين تعريضًا أن الالتجاء يجب أن يكون لله، وأنهم على ضلالة في عبادتهم للكواكب، فقال: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾، فلما بزغت الشمس سألهم السؤال نفسه، وأجابوه الإجابة نفسها، فلما أفلت بين تصريحًا أنهم على ضلالة، وأنهم مشركون بعبادتهم هذه الكواكب، وتبرأ منهم ومن شركهم، ووجههم الوجهة الصحيحة بإخلاص العبادة لله الذي خلق السموات والأرض، ثم حاجوه فيما ذهب إليه.

هذا ما ترجح عندي جمعًا بين الأدلة، والله أعلم بالصواب.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.

(٢) «تفسير الطبري»: (٧/ ٢٥٠)، و«تفسير القرطبي»: (٧/ ٢٦).

المطلب الثاني

لم يكن خليل الرحمن منجمًا في قول الله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾

إن اعتقد ابن الوزير والبيهقي وغيرهما أن إبراهيم تعلق بالكواكب قبل مبعثه فظن أنها ربه كما أسلفت في المطلب الأول، فهؤلاء أتو بما هو أشنع؛ إذ إنهم اعتقدوا أن إبراهيم عليه السلام كان متعلقًا بالكواكب والنجوم بعد بعثته، مثبتًا أحكامًا وتأثيرًا لها، مستدلين بقوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[1].

فقد ذهب جماعة من الرافضة إلى أن إبراهيم كان عالمًا بأحكام النجوم، وأنه كان مستعملاً له[2]، ونسبوا هذا القول زورًا وبهتانًا إلى جعفر الصادق[3] رحمه الله تفسيرًا باطنيًا لقوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾، زعموا أنه قال: (حسب ـ أي: إبراهيم عليه السلام ـ فرأى ما يحل بالحسين، فقال: «إني سقيم لما يحل بالحسين»[4].

وقد حكى الفخر الرازي نسبة أحكام النجوم إلى إبراهيم عليه السلام عن بعض العلماء[5]، وهذا القول لا يصح من عدة وجوه:

---

(١) سورة الصافات، الآيتان: ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) انظر: «البرهان في تفسير القرآن»: (٤/ ٢٥).

(٣) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان إمامًا في الفقه والحديث والعلم والفضل. روى له مسلم والأربعة. ويزعم الرافضة أنه إمامهم السادس، وحاشاه من ذلك، وترضيه على الشيخين مشهور معلوم. توفي سنة ثمان وأربعين ومائة. «حلية الأولياء»: (٣/ ١٩٢)، و«سير أعلام النبلاء»: (٦/ ٢٢٥)، و«تهذيب التهذيب»: (٢/ ١٠٣ ـ ١٠٥).

(٤) «الأصول من الكافي»: (١/ ٣٨٧).

(٥) انظر: «التفسير الكبير»: (٢٦/ ١٤٧ ـ ١٤٨).

الوجه الأول: أن ما ذكر عن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ من أنه تمسك بعلم النجوم حين قال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ هو كذب وافتراء على خليل الرحمن عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإنه ليس في الآية أكثر من أنه نظر نظرة في النجوم، ثم قال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، فمن ظن من هذا أن علم أحكام النجوم من علم الأنبياء، وأنهم كانوا يراعونه فقد كذب على الأنبياء، ونسبهم إلى ما لا يليق، وهو من جنس من نسبهم إلى الكهانة والسحر، وزعم أن تلقيهم الغيب من جنس تلقي غيرهم[١].

الوجه الثاني: أن الرسل بعثت بمحق الشرك من الأرض ومحق أهله، وقطع أسبابه، ولا شك أن ما وقع فيه قوم إبراهيم من الشرك، فكيف يظن بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه كان يتعاطى علم النجوم، ويأخذ منه أحكام الحوادث[٢]؟ وهذا بلا ريب من أعظم الأسباب المفضية إلى الشرك.

واختلف القائلون بتنزيه الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن التنجيم في توجيه الآية:

فذهب ابن قيم الجوزية وغيره إلى أن النظرة التي نظرها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في النجوم كانت من معاريض الأفعال، كما كان قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله عن سارة: «هذه أختي» من معاريض المقال ليتوصل بها إلى غرضه من كسر الأصنام، فلهذا نظر الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ في النجوم نظر تورية وتعريض محض ينفي به عنه تهمة قومه، ويتوصل إلى كيد أصنامهم[٣].

وذهب قتادة إلى أنه نظر إلى السماء متفكرًا فيما يلهيهم به، فقال:

---

(١) انظر: «مفتاح السعادة»: (٢/ ١٩٦).

(٢) انظر: «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٩٧).

(٣) انظر: «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٩٧ ـ ١٩٨).

والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم[١].

قلت: الظاهر أن قول قتادة أصوب ـ والله أعلم ـ لما يأتي:

١ ـ أن الفعل «نظر» يختلف معناه بحسب ما يتعدى به، فإن تعدى بنفسه فمعناه الانتظار، وإن تعدى بـ «إلى» فمعناه النظر بالأبصار، وإن تعدى بـ «في» فمعناه التفكر والاعتبار[٢]، ويدل لهذا المعنى الأخير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . .﴾[٣]، لذا كان معنى نظر ههنا: تفكر ليدبر حجة[٤].

٢ ـ إن الرسول ﷺ حدد كذبات إبراهيم عليه السلام إنها ثلاث كذبات في قوله: «**لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات** . . .»[٥]، وكلها من المعاريض، وإن اعتبرنا أن هذه من المعاريض أيضًا عدت كذبة رابعة، وهذا مخالف للحصر الوارد في الحديث.

٣ ـ إن هذا الفعل ـ وإن صدر على سبيل التعريض ـ فيه نوع محاباة وتأييد لعبادة النجوم، والمعروف من حال إبراهيم عليه السلام خلاف هذا، كما قال تعالى: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾[٦]، ولو علموا أنه وافقهم في مذهبهم لفرحوا بذلك كثيرًا، وحاجوا إبراهيم عليه السلام به إذا إنكر عليهم[٧].

---

(١) «تفسير الجلالين»: (ص٥٩٤).

(٢) انظر: «لسان العرب»: (٥/ ٢١٦ ـ ٢١٧).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

(٤) «لسان العرب»: (١٢/ ٥٧١).

(٥) متفق عليه، سبق تخريجه: ص٧٨.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٦٠.

(٧) انظر: «الشفا»: (٢/ ٧٢٠).

المطلب الثالث

لم يكن خليل الرحمن يعتقد أن للفلك تدبيرًا في هذا الكون:

ادعى الرازي أن قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[(١)] دالّ على أن إبراهيم عليه السلام كان يعتقد أن للاتصالات والحركات الفلكية تدبيرًا في هذا الكون، لما احتج بالإحياء والإماتة من الله، قال المنكر: تدعي الإحياء والإماتة من الله ابتداء من غير واسطة الأسباب الأرضية والأسباب السماوية، أو تدعي صدور الإحياء والإماتة من الله تعالى بواسطة الأسباب الأرضية والأسباب السماوية، أما الأول فلا سبيل إليه، وأما الثاني فلا يدل على المقصود، لأن الواحد منا يقدر على الإحياء والإماتة بواسطة سائر الأسباب؛ فإن الجماع قد يفضي إلى الولد الحي بواسطة الأسباب الأرضية والسماوية، وتناول السم قد يفضي إلى الموت.

فلما ذكر نمرود[(٢)] هذا السؤال على هذا الوجه أجاب إبراهيم عليه السلام بأن قال: هب أن الإحياء والإماتة حصلا من الله بواسطة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٢) هو النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وقيل غير ذلك. وكان أحد ملوك الدنيا، وذكروا أن نمرود هذا استمر في ملكه أربعمائة سنة، وكان قد طغا وبغا وآثر الحياة الدنيا.

انظر: «البداية والنهاية»: (١/ ١٣٩).

الاتصالات الفلكية، إلا أنه لا بد لتلك الاتصالات والحركات الفلكية من فاعل مدبر، فإذا كان المدبر لتلك الحركات الفلكية هو الله تعالى، كان الإحياء والإماتة الحاصلان بواسطة تلك الحركات الفلكية أيضًا من الله تعالى، وأما الإحياء والإماتة الصادران عن البشر بواسطة الأسباب الفلكية والعنصرية فليست كذلك، لأنه لا قدرة للبشر على الاتصالات الفلكية، فظهر الفرق. وإذا عرفت هذا، فقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ﴾ ليس دليلاً آخر، بل تمام الدليل الأول، ومعناه: أنه وإن كان الإحياء والإماتة من الله بواسطة حركات الأفلاك، إلا أن حركات الأفلاك من الله، فكان الإحياء والإماتة أيضًا من الله، وأما البشر فإنه وإن صدر منهم الإحياء والإماتة بواسطة الاستعانة بالأسباب السماوية والأرضية، إلا أن تلك الأسباب ليست واقعة بقدرته، فثبت أن الإحياء والإماتة الصادرين من البشر ليست على ذلك الوجه، وأنه لا يصلح نقضًا عليه، فهذا الذي أعتقده في كيفية جريان هذه المناظرة)[1].

وأورد عدة إشكالات ـ نصرة لمذهبه ـ على القول بأن النمرود قال: أنا أحيي وأميت، آتي بالرجلين فأحيي أحدهما، وأقتل الآخر، فقال إبراهيم: إن الله يأتي بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب.

وهذه الإشكالات هي:

الإشكال الأول: أن صاحب الشبهة إذا ذكر الشبهة، ووقعت تلك الشبهة في الأسماع وجب على المحق القادر على الجواب أن يذكر الجواب في الحال، إزالة لذلك التلبيس والجهل عن العقول، فلما طعن الملك

---

(١) «التفسير الكبير»: (٢٦/٧).

الكافر في الدليل الأول بتلك الشبهة، كان الاشتغال بإزالة تلك الشبهة واجبًا مضيقًا، فكيف يليق بالمعصوم أن يترك ذلك الواجب؟[1]

الإشكال الثاني: أنه لما أورد المبطل ذلك السؤال، فإذا ترك المحق الكلام الأول، وانتقل إلى كلام آخر أوهم أن كلامه الأول كان ضعيفًا ساقطًا، وأنه ما كان عالمًا بضعفه، وأن ذلك المبطل علم وجه ضعفه وكونه ساقطًا، وأنه كان عالمًا بضعفه فنبه عليه، وهذا ربما يوجب سقوط وقع الرسول وحقارة شأنه، وأنه غير جائز[2].

الإشكال الثالث: وهو أنه وإن كان يحسن الانتقال من دليل إلى دليل، أو من مثال إلى مثال، لكن يجب أن يكون المنتقل إليه أوضح وأقرب، وههنا ليس الأمر كذلك؛ لأن جنس الإحياء لا قدرة للخلق عليه، وأما جنس تحريك الأجسام فللخلق قدرة عليه، ولا يبعد في العقل وجود ملك عظيم في الجثة أعظم من السماوات، وأنه هو الذي يكون محركًا للسماوات، وعلى هذا التقدير يكون الاستدلال بالإحياء والإماتة على وجود الصانع أظهر وأقوى من الاستدلال بطلوع الشمس على وجود الصانع، فكيف يليق بالنبي المعصوم أن ينتقل من الدليل الأوضح الأظهر إلى الدليل الخفي الذي لا يكون في نفس الأمر قويًا؟[3]

الإشكال الرابع: أن دلالة الإحياء والإماتة على وجود الصانع أقوى من دلالة طلوع الشمس عليه، وذلك لأنا نرى في ذات الإنسان وصفاته تبدلات واختلافات، والتبدل قوي الدلالة على الحاجة إلى المؤثر القادر،

---

(١) المصدر نفسه: (٧/ ٢٧).

(٢) المصدر نفسه: (٧/ ٢٧ ـ ٢٨).

(٣) المصدر السابق نفسه: (٧/ ٢٧).

أما الشمس فلا نرى في ذاتها تبدلاً، ولا في صفاتها تبدلاً، ولا في منهج حركاتها تبدلاً البتة، فكانت دلالة الإحياء والإماتة على الصانع أقوى، فكان العدول منه إلى طلوع الشمس انتقالاً من الأقوى الأجلى إلى الأخفى الأضعف، وأنه لا يجوز(١).

الإشكال الخامس: أن نمرود لما لم يستح من معارضة الإحياء والإماتة الصادرين عن الله تعالى بالقتل والتخلية، فكيف يؤمن منه عند استدلال إبراهيم بطلوع الشمس أن يقول: طلوع الشمس من المشرق مني، فإن كان لك إله فقل له حتى يطلعها من المغرب؟ وعند ذلك التزم المحققون من المفسرين ذلك، فقالوا: إنه لو أورد هذا السؤال لكان من الواجب أن تطلع الشمس من المغرب، ومن المعلوم أن الاشتغال بإظهار فساد سؤاله في الإحياء والإماتة أسهل بكثير من التزام إطلاع الشمس من المغرب إلا أن يكون الدليل على وجود الصانع هو طلوع الشمس من المغرب، ولا يكون طلوع الشمس من المشرق دليلاً على وجود الصانع، وحينئذ يصير دليله الثاني ضائعًا كما صار دليله الأول ضائعًا(٢).

وفي الرد على ما ذهب إليه الرازي سأسلك مسلكين: إجمالي وتفصيلي.

ـ **المسلك الأول: الرد الإجمالي: والرد فيه من ثلاثة أوجه:**

الوجه الأول: لو كان معنى قول إبراهيم كما ذكر الرازي لم يكن خليل الرحمن عدوًّا لعبّاد الكواكب والأصنام الذين ألقوه في النار، وهو عليه السلام أعظم الناس براءة منهم(٣).

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) انظر: «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ٢٠٣).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ...﴾[(٢)].

الوجه الثاني: أن الرسل عليهم السلام إنما بعثوا ليمحقوا الشرك وأسبابه وأهله[(٣)] ـ كما أسلفت الكلام عن هذا في المطلب السابق ـ وهم معصومون من الوقوع في الشرك باتفاق الأمة، فكيف نجوز أن يجعل إبراهيم أبو الأنبياء لله شريكًا في تدبير أمور المخلوقات؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم، بل إن إبراهيم أعلم بالله وبوحدانيته وصفاته من أن يصدر منه مثل هذا[(٤)].

الوجه الثالث: أن ذلك التقرير الذي قرره الرازي في المناظرة بينه وبين الملك المعطل مما لم يخطر بقلب إبراهيم، ولا بقلب المشرك، ولا يدل اللفظ عليه البتة، فكيف يسوغ أن يقال إنها هي المرادة من كلام الله تعالى؟ فيكذب على الله وعلى خليله وعلى المشرك المعطل، بل لم يسبق الرازي إلى هذا التقرير أحد[(٥)]، والذي فسر السلف به هذه الآية هو: ألم تر يا محمد إلى الذي حاج إبراهيم في ربه؟ حين قال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت؛ يعني بذلك ربي الذي بيده الحياة والموت يحيي من يشاء، ويميت

---

(١) سورة الزخرف، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٣) انظر: «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٩٧).

(٤) مستفاد من المصدر نفسه.

(٥) المصدر السابق نفسه.

من أراد بعد الإحياء، قال: أنا أفعل ذلك فأحيي وأميت، أستحيي من أردت قتله فلا أقتله، فيكون ذلك مني إحياءً له، وأقتل الآخر فيكون ذلك مني إماتة له. قال إبراهيم له: فإن الله هو الذي يأتي بالشمس من مشرقها، فإن كنت صادقًا أنك إله فأت بها من مغربها، قال الله عز وجل: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ يعني: انقطع وبطلت حجته[1]. وكلام عامة المفسرين يدور حول هذا المعنى[2].

ـ **المسلك الثاني: الرد التفصيلي: ويكون الرد فيه كما يلي:**

أما الشبهة الألى، وهي: (أن الخليل يجب عليه إزالة الشبهة الأولى التي ألقاها الملك، ولا يليق تركها) فالرد عليها من وجهين:

الوجه الأول: أن الشبهة إذا كانت في غاية البطلان بحيث لا يخفى حالها على أحد لا يمتنع الإعراض عنها إلى ما هو بعيد عن التمويه دفعًا للشغب، وتحصيلاً لما هو المقصود من غير كثير تعب، وأي تلبيس يحصل من هذه الشبهة للعقول حتى يكون الاشتغال بإزالتها واجبًا مضيقًا فيخل تركه بالمعصوم؟[3] والناس كلهم يعلمون أن جواب الملك جواب أحمق[4] اعتمد فيه على الإشراك بالعبارة فقط لا حقيقة المعنى[5].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري»: (٣/ ٢٤، وما بعدها).

(٢) انظر: «الكشاف»: (١/ ٣٨٨)، و«أحكام القرآن» للجصاص: (١/ ٤٥٤)، و«تفسير القرطبي»: (٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦)، و«تفسير البيضاوي»: ص٥٩، و«البحر المحيط»: (٢/ ٢٨٨)، و«لباب التأويل»: (١/ ٢٧٣)، و«تفسير ابن كثير»: (١/ ٣١٣)، وغيرها من التفاسير.

(٣) «روح المعاني»: (٣/ ١٨٠).

(٤) «الكشاف»: (١/ ٣٨٨).

(٥) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص: (١/ ٤٥٤)، و«لطائف الإشارات»: (١/ ٢١٢).

الوجه الثاني: أن تقرير أن إبراهيم دحض شبهة الكافر، ولكن لم يذكر في السياق أولى من توجيه الرازي الفاسد الذي يخل بالمعنى، وبقدر خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ(١)

والشبه الثانية هي: (أن الانتقال إلى كلام آخر يوهم أن كلامه الأول كان ضعيفًا، وما كان الخليل عالمًا بضعفه، ولكن نبهه المبطل على ذلك، وهذا يوجب حقارة شأن الخليل) والرد عليها أن ما ذكره الملك من الجواب معلوم ما فيه من الضعف والفساد، فكيف ينسب الضعف إلى استدلال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ثم إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رأى قصور فهم الملك وتلبيسه وتمويهه على العامة عارضه بمثال أوضح من المثال السابق لا يستطيع معه التلبيس، ويصل إلى فهم كل غبي(٢)، فألجم فم الكافر الحجر، لذلك حكى الله عنه بقوله: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾.

والشبهة الثالثة هي: (يجب عند الانتقال من دليل إلى دليل أو مثال إلى مثال أن يكون المنتقل إليه أوضح وأقرب، وههنا ليس كذلك، إذا لا يبعد في العقل وجود ملك عظيم في الجثة يكون محركًا للسموات، فكيف يليق بالنبي المعصوم أن ينتقل من الدليل الأوضح الأظهر إلى الدليل الخفي)، والرد عليها من وجهين:

الوجه الأول: أن كلتا الطريقتين قويتان، ولكن الطريقة الأولى سلك

---

(١) ذكر أبو حيان [أن مجي الفاء في (فإن) يدل على جملة محذوفة قبلها، إذ لو كانت هي المحكية فقط لم تدخل الفاء، وكان التركيب قال إبراهيم: إن الله يأتي بالشمس . . وتقدير الجملة ـ والله أعلم ـ قال إبراهيم: إن زعمت ذلك، أو موهت بذلك فإن الله يأتي بالشمس من المشرق]. «البحر المحيط»: (٢/ ٢٨٩).

(٢) انظر: «لباب التأويل»: (١/ ٢٧٣)، «روح المعاني»: (٣/ ١٨٠).

فيها الملك مسلك التمويه والتدليس، أما الطريقة الثانية فلا يستطيع سلوك هذا المسلك فيه[1].

الوجه الثاني: أن السياق واقع في مدح طريقة إبراهيم في مناظرته للخصوم، وأنها طريقة قوية لا يعتريها نقص ولا خلل، والذي يدلنا على أنها طريقة قوية أن الكافر بهت، فلم يستطع حولاً ولا طولاً، كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾، فما الداعي إلى التشكيك في طريقة الخليل عليه السلام؟

أما الشبهة الرابعة وهي: (أن دلالة الإحياء والإماتة على وجود الصانع أقوى من دلالة طلوع الشمس عليه؛ لأن التبدلات في ذات الإنسان وصفاته أقوى من الدلالة على الحاجة إلى المؤثر القادر على طلوع الشمس، إذ تنتفي عنها التبدلات والاختلافات، فكان العدول إلى طلوع الشمس عدولاً من الأقوى الأجلى إلى الأخفى الأضعف) فالرد عليها من وجهين:

الوجه الأول: أن لفظ الآية لا يدل على ما يقوله الرازي، إذ أن استدلال إبراهيم على انفراد الله بالألوهية كان بمجرد الإحياء والإماتة، لا بصفات الإنسان، ولا بالتبدلات الحاصلة فيه، فلذلك لا يستقيم اعتراضه[2].

الوجه الثاني: لا نسلم أن الشمس لا يرى في ذاتها وصفاتها تبدلاً، بل عند الشروق تختلف وتتبدل عما تكون عليه عند الزوال، وتختلف وتتبدل عما تكون عليه عند الغروب، فظهر نقض شبهته من أصلها.

---

(١) انظر: «الكشاف»: (١/ ٣٨٨)، «البحر المحيط»: (٢/ ٢٨٨).

(٢) انظر: «روح المعاني»: (٣/ ١٨٠).

أما الشبهة الخامسة وهي: (أن الملك لا يؤمن أن يقول: طلوع الشمس من المشرق مني، وعند ذلك يلزم إبراهيم بأن تطلع الشمس من المغرب، ومن المعلوم أن الاشتغال بإظهار فساد سؤاله في الإحياء والإماتة أسهل بكثير من التزام إطلاع الشمس من المغرب) فالرد عليها من وجهين:

الوجه الأول: أنه لو كان للملك سبيل في إيراد هذا القول لقاله، ولو كان له سبيل في التمويه فيه لسلك ذلك، كما فعل في الإحياء والإماتة، ولكن لما لم يكن له سبيل في ذلك لقطع إبراهيم عليه السلام طريق التمويه عليه انقطع وبهت[1].

الوجه الثاني: أن ادعاء ذلك يظهر كذبه، إذ من قدر على أن يأتي بالشمس من المشرق قدر على الإتيان بها من المغرب، فلو ادعى ذلك لسهل عليه الإتيان بالشمس من مغربها عند مطالبة إبراهيم له بذلك، ولكن علم عجزه عن ذلك فبهت[2].

ومن هذا يتضح أن نسبة هذا الأمر إلى إبراهيم عليه السلام لا تصح بحال.

* * *

(١) مستفاد من المصدر السابق نفسه.

(٢) مستفاد من «البحر المحيط»: (٢/ ٢٩٠).

تنزيه الأنبياء أن يكونوا منجمين

إن هؤلاء المنجمين لم يعرفوا الأنبياء، ولا آمنوا بهم، وإنما هم عندهم بمنزلة أصحاب الرياضات الذين خصوا بقوة الإدراك، وزكاة النفوس، وزكاة الأخلاق، ونصبوا أنفسهم لإصلاح الناس، وضبط أمورهم، ولا ريب أن هؤلاء أبعد الخلق عن الأنبياء وأتباعهم ومعرفتهم، ومعرفة مرسلهم، وما أرسلهم به، وهؤلاء في شأن والرسل في شأن آخر، بل هم ضدهم في علومهم وأعمالهم وهديهم وإرادتهم وطرائقهم وفي شأنهم كله، وكذلك نجد أتباع هؤلاء ضد أتباع الرسل في جميع أمورهم.

وما التنجيم والطلسمات والسحر إلا من صنائع المشركين وأعمالهم. وما بعث الرسل إلا بالإنكار على هؤلاء ومحقهم ومحق علومهم وأعمالهم من الأرض[1]. ثم يأتي من هذا حاله ليؤيد مذهبه الفاسد وعقيدته الشركية بقصص وحكايات ينسبها إلى أنبياء الله تعالى وصفوته من خلقه فيجعلهم من جملة من أرسلوا إليهم لنبذ عقائدهم فقد جعل هؤلاء علم أحكام النجوم المزعوم من علوم الأنبياء مستدلين[2] بما أورده الخطيب البغدادي[3] رحمه الله

(١) «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٩٦ - ١٩٧).

(٢) استدل بأثر عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه هذا ابن طاوس في «فرج المهموم»: ص٢٢-٢٣.

(٣) هو الإمام المفتي الحافظ المحدث أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بنب أحمد بن مهدي البغدادي، نشأته ووفاته ببغداد، تُوفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة. انظر: «تبيين كذب المفتري»: ص٢٦٨ - ٢٧١، و«الكامل» لابن الأثير: (١٠/ ٦٨)، «سير أعلام النبلاء»: (١٨/ ٢٧٠). =

تعالى عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قيل له: هل لعلم النجوم أصل؟ قال: نعم. كان نبي من الأنبياء يقال له يوشع بن نون قال له قومه: إنا لا نؤمن لك حتى تعلمنا بدء الخلق وآجاله. فأوحى الله تعالى إلى غمامة فأمطرتهم واستنقع على الجبل ماء صاف، ثم أوحى الله تعالى إلى الشمس والقمر والنجوم أن تجري في ذلك الماء، ثم أوحى إلى يوشع بن نون أن يرتقي هو وقومه على الجبل، فارتقواالجبل، فقاموا على الماء حتى عرفوا بدء الخلق وآجاله بمجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار، فكان أحدهم يعلم متى يموت، ومتى يمرض، ومن ذا الذي يولد له، ومن ذا الذي لا يولد له. قال: فبقوا كذلك برهة من الدهر، ثم إن داود عليه الصلاة والسلام قاتلهم على الكفر، فأخرجوا إلى داود في القتال من لم يحضر أجله، ومن حضر أجله خلفوه في بيوتهم، فكان يقتل من أصحاب داود ولا يقتل من هؤلاء أحد، فقال داود: يا رب أقاتل على طاعتك، ويقاتل هؤلاء على معصيتك، فيقتل أصحابي، ولا يقتل من هؤلاء أحد. فأوحى الله إليه أني كنت علمتهم بدء الخلق وآجاله، وإنما أخرجوا إليك من لم يحضر أجله، ومن حضر أجله خلفوه في بيوتهم، فمن ثم يقتل من أصحابك، ولا يقتل منهم أحد، قال داود: يا رب على ماذا علمتهم؟ قال: مجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار. قال: فدعا الله فحبست الشمس، فزاد في النهار. فاختلطت الزيادة بالليل فلم يعرفوا قدر الزيادة، فاختلط عليهم حسابهم. قال علي: فمن ثم ذكره النظر في النجوم)[1].

(١) أخرجه الخطيب في «حكم علم النجوم»: (ق١٢ب)، (ق١٣أ).

والاستدلال بهذه الرواية باطل من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنها باطلة لأن إسنادها ضعيف جدًّا[(١)]، إذ أن فيه غير واحد مجهول[(٢)]، بالإضافة إلى ما تحويه من الكفر والشرك.

الوجه الثاني: أن المعتمد أن الشمس لم تحبس على أحد إلا على يوشع بن نون عليه السلام[(٣)] لما روى الإمام أحمد رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الشمس لم تحبس على بشر إلا يوشع ليالي سار إلى بيت المقدس»**[(٤)].

الوجه الثالث: إن ما ذكر من علم القوم بأوقات آجالهم وغير ذلك من غالب أحوالهم غير مقبول[(٥)] لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[(٦)]. وأخبار الله لا تبدل ولا تنسخ على مر العصور.

واستدلوا أيضًا بما روي عن ميمون بن مهران[(٧)] رحمه الله أنه قال:

---

(١) ذكر ذلك ابن حجر في «فتح الباري»: (٦/ ٢٢١).

(٢) ذكر ذلك الخطيب في «حكم علم النجوم»: (ق١٣/ أ).

(٣) انظر: «منهاج السنة»: (٦/ ١٦٩)، و«فتح الباري»: (٦/ ٢٢١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٢/ ٣٢٥). وصححه ابن كثير فقال: (انفرد به أحمد من هذا الوجه، وهو على شرط البخاري). «البداية والنهاية»: (١/ ٣٠١). كما صححه ابن حجر فقال: (رجال إسناده محتج بهم في الصحيح». «فتح الباري»: (٦/ ٢٢١). كما صححه د. عبد المجيد الحسيني. «تخريج أحاديث المسند»: (١٦/ ٨٢٩٨).

(٥) «حكم علم النجوم» للخطيب: (ق١٣أ).

(٦) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٧) هو الإمام ميمون بن مهران، أبو أيوب الجزري الرقي، من التابعين، نشأ بالكوفة ثم=

(إياكم والتكذيب بالنجوم فإنه علم من علم النبوة)[1].

وبما روي أيضًا عنه أنه قال: (ثلاث ارفضوهن: لا تنازعوا أهل القدر ولا تذكروا أصحاب نبيكم إلا بخير، وإياكم والتكذيب بالنجوم فإنه من علم النبوة)[2]. وهذا استدلال باطل من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن نسبة مثل هذا إلى نبي من الأنبياء المتقدمين لا يثبت إلا بخبر من الله تعالى أو بحديث صحيح، وبغير هذا لا يثبت[3].

الوجه الثاني: أن الناظر في حال ميمون بن مهران يعلم عدم صحة نسبة هذا القول إليه، فقد أثر عنه الزهد والورع وبغض الكذابين والمحتالين، والعداء للمنجمين والتحذير منهم، ولو كان هذا العلم مأثورًا عن الأنبياء، والنبي ﷺ يحض على تعليمه لكان من أوائل من يعض عليه بالنواجذ، ولكننا نجد من سيرته أنه على العكس من ذلك، فقد كان يحذر الناس من اقتفاء أثر هؤلاء بقوله: «لا تجالسوا أهل القدر ولا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، ولا تعلموا النجوم»[4]. وبقوله: (أربع لا يكلم فيهن: علي وعثمان والقدر والنجوم)[5]، فكيف يكون من هذا حاله وقوله مشجعًا للعمل بأحكام النجوم؟

= سكن الرقة، تُوفي سنة سبع عشرة ومائة، وقيل: ست. انظر: «حلية الأولياء»: (٤/ ٨٢)، و«تاريخ الإسلام»: (٥/ ٨)، و«البداية والنهاية»: (٩/ ٣٢٦).

(١) ذكرها الرازي، نقلاً عن «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٨٨).

(٢) المرجع نفسه.

(٣) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (١٢/ ٥٧).

(٤) «تهذيب الكمال»: (٣/ ١٣٩٨)، و«سير أعلام النبلاء»: (٥/ ٧٣).

(٥) «حلية الأولياء»: (٤/ ٩٢).

الوجه الثالث: على فرض ثبوت هذا القول يحمل على أنه أراد علم التسيير، إذ قد يكون ما عرف من هذا العلم مأثورًا عن أحد الأنبياء، إذ لا مانع من ذلك، ويحمل قوله الآخر على النكير والتحذير من علم أحكام النجوم.

وجعل هؤلاء أول المنجمين آدم عليه السلام تارة وإدريس عليه السلام تارة أخرى، فمما نسب إلى آدم عليه السلام ما ذكره عليّ بن طاوس: (أن الله تبارك وتعالى أهبط آدم من الجنة وعرفه علم كل شيء فكان مما عرفه النجوم والطب)[1]، وذكر الرازي: (أن أول من أعطي هذا العلم آدم، وذلك أنه عاش حتى أدرك من ذريته أربعين ألفًا، وتفرقوا عنه في الأرض وكان يغتم لخفاء خبرهم عليه فأكرمه الله تعالى بهذا العلم وكان إذا أراد أن يعرف حال أحدهم حسب له بهذا الحساب، فيقف على حالته)[2]، وبيان بطلان هذا القول واضح لمن عنده أدنى علم بأحوال الأنبياء وما يجوز في حقهم وما يمتنع، وأبين هذا من أربعة أوجه:

الوجه الأول: أن هذا من بهت المنجمين وافترائهم على آدم وقد عملوا بالمثل السائر: إذا كذبت فأبعد شاهدك[3]، إذ أن من نسب إلى آدم عليه السلام علم أحكام النجوم المزعوم ليس عنده إلا مجرد القول الخالي من الدليل، والكذب على الأنبياء، ومثل هذه الأخبار لا تثبت ألا بنص من القرآن أو السنة، وهم مجردون من ذلك[4].

---

(١) «فرج المهموم»: ص٢٢.

(٢) «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٨٨).

(٣) المصدر نفسه: (٢/ ٢١٩).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى المصرية»: (١/ ٣٣٠).

الوجه الثاني: أن أئمتكم يعترفون أن آدم وأولاده برآء من ذلك، إذ أنهم ينسبون هذا العلم إلى إدريس عليه السلام، ويزعمون أنه أول من علم هذا العلم، وكان ذلك بعد آدم بزمن طويل، هذا لو ثبت عن إدريس، فكيف وهو كذب عليه[1]؟

الوجه الثالث: أن الأنبياء معصومون من الكفر بالإجماع[2]، وادعاء علم الغيب كفر؛ لأنه ادعاء شيء استأثر الله به، والتنجيم من هذا القبيل، لذلك فنسبة الأنبياء إلى التنجيم كنسبتهم إلى الكفر.

الوجه الرابع: أن الله نزه الأنبياء أن يكونوا سحرة، وذم من يصفهم بهذا الوصف، وكذبهم قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[3]، والأدلة كثيرة في هذا المعنى.

والتنجيم شعبة من السحر كما قال النبي ﷺ: **«ما اقتبس رجل علمًا من النجوم إلا اقتبس بها شعبة من السحر ما زاد زاد»**[4]، فنسبة الأنبياء إلى علم النجوم كنسبتهم إلى السحر، وقد نزههم[5] الله عن ذلك.

وقد نسب التنجيم أيضًا إلى إدريس عليه السلام، وزعموا أنه أول من علم وعلّم أحكام النجوم.

---

(١) «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ٢٢٦).

(٢) انظر: «لوامع الأنوار البهية»: ص٣٠٣.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٢.

(٤) أخرجه أبو داود: (٣٩٠٥)، وابن ماجه: (٣٧٧١)، وأحمد: (١/ ٢٢٧، ٣١١) بألفاظ متقاربة. وصححه النووي في «رياض الصالحين»: ص٦٣٧، والمناوي في «التيسير»: (٢/ ٤٠٣)، والألباني في «السلسلة الصحيحة»: (٧٩٣)، وفي «صحيح الجامع الصغير»: (٥٩٥٠)، وأحمد شاكر في تحقيقه لمسند الإمام أحمد: (٢٠٠٠، ٢٨٤١).

(٥) مستفاد من «مجموعة الفتاوى المصرية»: (١/ ٣٣٢).

فمن ذلك ما أورده إخوان الصفا في رسائلهم قالوا: (ويحكى عن هرمس المثلث بالحكمة، وهو إدريس النبي ﷺ أنه صعد إلى فلك زحل، ودار معه ثلاثين سنة، حتى شاهد جميع أحوال الفلك، ثم نزل إلى الأرض فخبر الناس بعلم النجوم، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[1])[2].

وما ذكره عليّ بن موسى بن طاوس عن إدريس: (أنه أول من خط بالقلم، وأول من حسب حساب النجوم)، ثم قال: (هذا لفظه فيما حكي من التوراة)[3]، وذكر أيضًا: (وكان إدريس أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب ولبس المخيط، وأول من نظر في علم النجوم والحساب)[4].

وبيان بطلان هذه الادعاءات من خمسة أوجه:

الوجه الأول: أنه قول بلا علم، فإن مثل هذا لا يعلم إلا بالنقل الصحيح، ولا سبيل للقائل إلى ذلك[5].

الوجه الثاني: أن هؤلاء يزعمون أن هذا العلم مأخوذ من إدريس عليه السلام، بينما نجدهم في كتبهم يصرحون أنهم عرفوه بالتجربة والقياس، فمن ذلك قول ابن أبي الشكر[6]: (وذلك مما جربه الحكماء المتقدمون،

---

(١) سورة مريم، الآية: ٥٧.

(٢) «رسائل إخوان الصفا»: (١/ ١٣٨)، لم يقل أحد من المفسرين بهذا التفسير للآية.

(٣) «فرج المهموم»: ص٢٢.

(٤) المصدر نفسه: ص٢١.

(٥) «مجموعة الفتاوى المصرية»: (١/ ٣٣١).

(٦) هو يحيى بن محمد بن أبي الشكر، أبو الفتح، ويعرف بالحكيم المغربي، منجم عالم بالفلك، أندلسي من أهل قرطبة، توفي سنة ثمانين وستمائة. «كشف الظنون»: ص١٥٩٦، و«هدية العارفين»: (٢/ ٥١٦)، و«الأعلام»: (٨/ ١٦٦)، و«الذريعة»: (١/ ٤٠٨).

والفضلاء المتأخرون)[١].

بل والرازي نفسه ذكر هذا عند عرضه للأدلة فقال: (وليست الكواكب موكلة بالفساد والصلاح، ولكن فيها دليل بعض الحوادث عرف ذلك بالتجربة)[٢]، بل وبعض كبرائهم يصرح أن صناعتهم قائمة على الخرص والتخمين كقول إمامهم أبي نصر الفارابي[٣]: (إنك لو قلبت أوضاع المنجمين فجعلت مكان السعد نحسًا، ومكان النحس سعدًا، أو مكان الحار باردًا، ومكان البارد حارًّا، أو مكان المذكر مؤنثًا، ومكان المؤنث مذكرًا، وحكمت لكان حكمك من جنس أحكامهم تصيب تارة وتخطئ أخرى).

وما كان بهذه المثابة من الكذب والتخمين ينزهون عنه معلميهم كبقراط[٤] وأفلاطون[٥] وغيرهم من الفلاسفة، الذين يوجد في كلامهم

---

(١) «رسالة في الأحكام على تحاويل سني العالم» لابن أبي الشكر: (ق١أ).

(٢) «مفتاح دار السعادة»: (٢/١٨٨).

(٣) هو محمد بن محمد بن طرخان أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني لشرحه لمؤلفات أرسطو (المعلم الأول)، أصله تركي كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية، توفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة. انظر: «الفهرست» لابن النديم: ص٣٦٨، و«تاريخ حكماء الإسلام»: ص٣٠.

(٤) هو أحد الفلاسفة المشهورين، وسيد الطبيعيين في عصره، وكان قبل الإسكندر بنحو مائة سنة، نشأ في بلاد الشام، وكان يتوجه إلى دمشق للرياضة والتعليم والتعلم في أحد بساتينها. انظر: «طبقات الأطباء والحكماء»: ص١٦، «تاريخ الحكماء»: ص٩٠ ـ ٩٥.

(٥) هو أفلاطون بن أرسطو أحد أساطين الحكمة الخمسة من اليونانيين، كان يعلم الطلاب الفلسفة وهو ماش فسميت فرقته بالمشائين، ووضع لأهل زمانه سننًا وحدودًا في الفلسفة. انظر: «طبقات الأطباء والحكماء»: ص٢٣، و«عيون الأنباء»: ص٧٩، و«تاريخ الحكماء»: ص١٧. =

من الكذب والباطل ما لا يوجد في كلام اليهود ولا النصارى، فإن كانوا ينزهون هؤلاء عنه، فكيف يجوز نسبة ذلك إلى نبي كريم[(١)]؟

وبذلك يظهر تناقض أقوالهم مما يدل دلالة واضحة على كذبهم[(٢)].

الوجه الثالث: إن كان بعض هذا العلم مأخوذًا من نبي ـ كما تزعمون ـ، فمن المعلوم قطعًا أن فيه من الكذب والباطل أضعاف ما هو مأخوذ عن ذلك النبي، ومعلوم قطعًا أن الكذب والباطل الذي في ذلك أضعاف الكذب والباطل الذي عند اليهود والنصارى فيما يخبرون به عن الأنبياء، مع أن أصل دين اليهود والنصارى مأخوذ عن المرسلين قطعًا، ومع ذلك فقد حرفوا وبدلوا وكذبوا وكتموا، وعهدهم أقرب إلينا عهدًا من إدريس، ونقلة دينهم أعظم من نقلة علم أحكام النجوم، وأبعد عن تعمد الكذب والكفر بالله من هؤلاء، فما ظنك بما نقل عن إدريس[(٣)]؟

الوجه الرابع: أن هذا العلم متضمن للسحر والتقرب إلى الكواكب فما كان من هذه الأحكام من جنس السحر فمن الممتنع أن يكون نبي من الأنبياء ساحرًا، وهم يذكرون أنواعًا من السحر، ويقولون: هذا يصلح لعمل الشرائع والسنن، ومنها ما هو دعاء للكواكب، وعبادة لها، وغير ذلك من أنواع الشرك التي يعلم كل من آمن بالله ورسوله بالاضطرار أن نبيًا من الأنبياء محال أن يأمر بشيء من ذلك ولا علمه، وإضافة ذلك إلى نبي من الأنبياء كإضافة من أضاف السحر إلى سليمان عليه السلام لما سخّر

---

(١) انظر: «مجموعة الفتاوى المصرية»: (١/ ٣٣٢).

(٢) انظر: المصدر نفسه: (١/ ٣٣١).

(٣) انظر المصدر نفسه.

الله له الجن، فرد الله هذا القول بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾[1].

الوجه الخامس: من المعلوم من حال هذه الأمة ما نسب إلى جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ من جنس هذه الأمور مما يعلمه كل عالم بحال جعفر أنه مكذوب عليه، وافترى عليه الرافضة افتراءات كثيرة، لا يشك أحد في كذبها عليه، كما أنهم افتروا على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكذبوا عليه، حتى إن بعض الشيعة نسبه إلى الألوهية، وأضاف كثير من طوائف الباطنية مذهبها إليه؛ فهذه الافتراءات على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل بيته في الزمن القريب، فكيف الظن بما ينسب إلى إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع تباعد الزمان، وتنوع الحدثان، واختلاف الملل والأديان[2].

وما اقتصر أذى هؤلاء على الأنبياء السابقين، بل تسابقوا ليؤذوا رسول الله ﷺ بأكاذيبهم وأباطيلهم فادعوا أن النبي ﷺ من المنجمين، وأنه كان يحض على تعلمه، بل ويعلمه أصحابه، واستدلوا بأمرين:

الأمر الأول: قال ابن طاوس في معرض استدلاله على جواز التنجيم: (إن الروايات الواردة في صفات النبي ﷺ يفيد كثير منها أنه لم يكن كاهنًا ولا ساحرًا، وما وجدنا إلى الآن فيها وما كان عالمًا بالنجوم، فلو كان المنجم كالكاهن والساحر ما كان يبعد أن تتضمنه بعض الروايات في ذكر الصفات)[3].

---

(١) المصدر نفسه: (١/ ٣٣٢).
والآية رقم ١٠٢ من سورة البقرة.

(٢) انظر: «مجموعة الفتاوى المصرية»: (١/ ٣٣٢ ـ ٣٣٤).

(٣) انظر: «فرج المهموم»: ص٥٩.

الأمر الثاني: الأحاديث الواردة في تعظيم الكواكب، والتشاؤم من بعضها مما يدل على أن رسول الله ﷺ مؤيد لعلم النجوم، من ذلك[1]:

١ ـ ما روي عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: **«إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا»**[2].

٢ ـ من الناس من يروي أنه ﷺ قال: **«لا تسافروا والقمر في العقرب»**[3].

---

(١) ذكره الرازي، نقلاً عن «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٨٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير»: (١٤٢٧)، وابن عدي في «الكامل»: (٧/ ٢٤٩٠).

وقال الهيثمي: (رواه الطبراني عن ثوبان وفيه: يزيد بن ربيعة، وهو ضعيف. ورواه الطبراني أيضًا عن عبد الله بن مسعود، وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره، وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح) «المجمع»: (٧/ ٢٠٢) إلا الفسوي ليس من رجال الصحيح. «السلسلة الصحيحة»: (١/ ٤٣).

وحسنه العراقي. انظر: «التخريج على الإحياء»: (١/ ٢٩)،

وقال ابن رجب: روي من وجوه في أسانيدها كلها مقال، ورمز السيوطي لتحسينه. «فيض القدير»: (١/ ٣٤٨).

وصححه الألباني وقال: (وقد وجدت للحديث شاهدًا مرسلاً أخرجه عبد الرزاق في الأمالي، وسنده صحيح لولا إرساله، ولكنه مع ذلك شاهد قوي لما قبله من الشواهد والطرق وخاصة الطريق الأول، فيقوى الحديث . .). «السلسلة الصحيحة»: (٣٤)، «صحيح الجامع»: (٥٥٩).

قلت: يقصد بالطريق الأول رواية مسهر بن عبد الملك، والذي يظهر من أقوال العلماء أن الحديث حسن بمجموع طرقه.

(٣) ذكر الصاغاني في «الموضوعات»: ص٥٣.

وحكم ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله عليه بالوضع، بل قال ابن تيمية عنه أنه: (كذب مختلق باتفاق أهل الحديث).

انظر: «مجموع الفتاوى المصرية»: (١/ ٣٣٠)، «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ٢١٤).

٣ ـ ما روي عن النبي ﷺ أنه نهى عند قضاء الحاجة عن استقبال الشمس والقمر واستدبارهما[(١)].

٤ ـ أنه لما مات ولده إبراهيم انكسفت الشمس، ثم إن الناس قالوا: إنما انكسفت لموت إبراهيم. فقال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة**»[(٢)].

٥ ـ حديث أبي ذر رضي الله عنه[(٣)] قال: «لقد توفي رسول الله ﷺ وتركنا ولا طائر يطير بجناحيه إلا وقد ذكر لنا منه علمًا»[(٤)].

وبيان بطلان استدلالهم نذكره فيما يلي:

فأما الأمر الأول وهو استدلال ابن طاوس فهو استدلال باطل

---

(١) لا أصل له ـ كما سيأتي في الرد عليه في المتن إن شاء الله ـ.

(٢) أخرجه البخاري: (٢/ ٩٦)، كتاب الكسوف، ومسلم: (٣/ ٣٥)، كتاب الكسوف. ولفظه عن المغيرة بن شعبة قال: انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم، فقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم. فقال رسول الله ﷺ: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي**».

(٣) هو أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام، من نجباء أصحاب النبي ﷺ، مات سنة اثنتين وثلاثين. انظر: «الاستيعاب»: (١/ ٢٥٢)، و«أسد الغابة»: (٦/ ٩٩)، و«سير أعلام النبلاء»: (٢/ ٤٦)، و«الإصابة»: (٤/ ٦٢).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٥/ ١٥٣، ١٦٢). قال الهيثمي في «المجمع»: (رجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ وهو ثقة، وفي إسناد أحمد من لم يسم). وقال في رواية أبي الدرداء: (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح). «المجمع»: (٨/ ٢٦٤).
وقال ابن حجر: (رجاله ثقات إلا أنه منقطع). «المطالب العالية»: (٣٨٧٢).

لا يصح، وذلك أن انتفاء السحر عن النبي ﷺ في بعض الروايات كما ذكر دال على انتفاء التنجيم عنه، وذلك لأن علم أحكام النجوم شعبة من شعب السحر كما قال النبي ﷺ: **«ما اقتبس رجل علمًا من النجوم إلا اقتبس بها شعبة من السحر زاد ما زاد»**[1].

وانتفاء السحر عن النبي ﷺ يدل على انتفاء أجزائه وشعبه، كما أن التنجيم داخل في الكهانة أيضًا وهو فرع عنه، وانتفاء الكهانة عن النبي ﷺ ينفي أن يكون منجمًا.

أما الأمر الثاني: وهو استدلالهم بحديث ابن مسعود المتقدم فهو مردود أيضًا لأن معنى الحديث أمسكوا عن الخوض في علم النجوم والعمل به وتصديق قائله[2]، وعلى هذا لا دلالة لهم فيه، بل هذا الحديث حجة عليهم لا لهم، إذ لو كان علم أحكام النجوم حقًّا لا باطلاً لم ينه عنه النبي ﷺ، ولا أمر بالإمساك عنه، فإنه لا ينهى عن الكلام في الحق بل يدل الحديث على أن الخائض في هذا العلم خائض فيما لا علم له به، فأين ما يدل على صحة علم أحكام النجوم في هذا الحديث[3]؟

واستدلالهم بما روي عن النبي ﷺ من النهي عن السفر والقمر في العقرب باطل أيضًا، إذ أن هذا المروي كذب مختلق باتفاق أهل الحديث[4].

(١) صحيح تقدم تخريجه قريبًا: ص٩٧.

(٢) «فتاوى الإمام النووي»: ص٢٨٧.

(٣) «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ٢١٤).

(٤) انظر: «موضوعات الصاغاني»: ص٥٣، و«مجموعة الفتاوى المصرية»: (١/ ٣٣٠)، و«مفتاح دار السعادة»: (٢/ ٢١٤).

واستدلالهم بأن النبي ﷺ نهى عند قضاء الحاجة من استقبال الشمس والقمر واستدبارهما يرد عليه من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أن النبي ﷺ لم ينقل عنه ذلك في كلمة واحدة، لا بإسناد صحيح ولا ضعيف ولا مرسل ولا متصل ولا منقطع، وليس لهذه المسألة أصل في الشرع يتعلق به ذنب أو أجر، وكأن هؤلاء ـ والله أعلم ـ لما رأوا بعض الفقهاء قالوا في كتبهم في آداب التخلي: (ولا تستقبل الشمس والقمر) ظن أنهم إنما قالوا ذلك لنهي النبي ﷺ عنه فاحتجوا به[١].

الوجه الثاني: ما لهذا ولأحكام النجوم، فإن كان هذا دالاً على دعواهم من تأثير الكواكب في العالم السفلي فدلالة النهي عن استقبال القبلة على هذا التأثير أولى وأقوى، مما يقتضي أن يكون عدم استقبال القبلة له تأثير في العالم السفلي[٢].

الوجه الثالث: أن في حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه المتفق عليه دلالة على جواز استقبال الشمس والقمر وردًّا على قول هؤلاء وهو قول النبي ﷺ: «**إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا أو غربوا**»[٣]. فالحديث صريح في جواز استقبال القمرين واستدبارهما إذ لا بد أن يكونا في الشرق أو الغرب غالبًا[٤].

---

(١) «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أخرجه البخاري: (١/ ٨٠)، كتاب الوضوء، ومسلم: (١/ ١٥٤)، كتاب الطهارة.

(٤) «سبل السلام»: (١/ ١٢٦).

واستدلالهم بأن النبي ﷺ قال يوم موت ولده إبراهيم: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله** ..» يرد عليه أن هذا الحديث صحيح، وهو من أعظم الحجج على بطلان قولهم، فإنه ﷺ أخبر أنهما آيتان من آيات الله، وآيات الله لا يحصيها إلا الله كالمطر والنبات والحيوان والليل والنهار ...، وآيات الله دالة عليه فهما آيتان لا ربان، ولا إلهان، وليس لهما تصرف في ذواتهما البتة فضلاً عن إعطائهما كل ما في العالم من خير وشر وصلاح وفساد(١). وإن كانوا يستدلون بكونها آية من آيات الله لها تأثير في العالم وجب أن يجعلوا كل آية من آيات الله لها تأثيرًا في العالم، فإن منعوا هذا بطل استدلالهم. ثم إن النبي ﷺ نفى أن يكون للكواكب تأثير في هذا العالم بقوله: «**لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته**»، فأين هذا المعنى من دعواهم أن النبي ﷺ مؤيد لهذا العلم.

واستدلالهم بحديث أبي ذر يرد عليه من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن هذا الحديث من أعظم الأدلة على بطلان قولهم وتكذيبهم فيما يدعونه من علم أحكام النجوم، فإنه ﷺ ذكر لهم كل شيء حتى الخراءة، وذلك فيما رواه مسلم رحمه الله عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «قيل له: نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم»(٢)، وقد ذكر لهم من علم كل طائر، وكل حيوان، وكل ما في العالم، ولم يذكر لهم من علم أحكام النجوم شيئًا البتة، وهو

---

(١) «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ٢٠٦).

(٢) أخرجه مسلم: (١/ ١٥٤)، كتاب الطهارة.

ﷺ أجل من هذا وأعظم، قد صانه الله تعالى عن ذلك، وإنما الذي ذكر لهم هذه الأحكام المشركون عباد الأصنام والكواكب. أفلا يستحيي رجل أن يذكر رسول الله ﷺ في هذا المقام[١]؟

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ ذكر لأمته من تكذيبهم وكفرهم والبراءة منهم والإخبار بأنهم وما يعبدون من دون الله حصب جهنم[٢].

الوجه الثالث: هل كان رسول الله ﷺ، أو أحد من أهل بيته، أو أحد من صحابته مثبتًا لأحكام النجوم، عاملاً بها في حركاته وسكناته وأسفاره كما هو المعروف عن المشركين وأتباعهم حتى يكون هذا العلم مأثورًا عنهم[٢].

من هذا يتبين أن نسبة علم أحكام النجوم إلى الأنبياء، والقول بأنه من علوم النبوة كذب وهراء، لا يجوز لأحد أن يعتقده، إذ أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما بعثوا لمحق الشرك وقطع أسبابه، واعتقاد أن هذه الكواكب مدبرة لهذا العالم، أو لها تصريفًا في العالم السفلي، أو أنها علامات على الحوادث السفلية من الشرك الذي بعث الأنبياء لمحقه.

* * *

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ٢١٨).

(٢) المصدر نفسه.

التنجيم عند العرب (في الجاهلية)

كان العرب في الجاهلية يعرفون التنجيم، ويعتقد كثير منهم تأثير النجوم في أحوال العالم السفلي، وكانوا يعدونه نوعًا من أنواع الكهانة.

فالكهانة عندهم على أنواع شتى وهي: إما أن يكون لأحدهم رئيًّا[1] من الجن وتابعًا يلقي إليه الأخبار بما يسترقه من السمع من السماء، أو بما يطلع عليه مما يغيب عن الناس غالبًا، وإما أن يستند على الظن والتخمين، فيزعم أنه يعرف الأمور الخافية بمقدمات وأسباب تسبق الحوادث، وهو العرَّاف، وإما أن يستند على ظنون كاذبة وأوهام لا حقيقة لها، ويزعم أنه عرفها بالتجربة والعادة وهو المنجم[2].

ومما يؤيد اعتبار العرب التنجيم من الكهانة جواب قس بن ساعدة[3] عندما سأله ملك الروم: خبرني هل نظرت في النجوم؟ قال: ما نظرت فيها إلا بما أردت به الهداية، ولم أنظر فيما أردت به الكهانة، ثم قلت في النجوم:

علم النجوم على العقول وبال   وطلاب شيء لا ينال ضلال

---

(١) هو جني يتعرض للرجل يريه كهانة وطبًّا. «لسان العرب»: (١٤/ ٢٩٧).

(٢) انظر: «معالم السنن»: (٥/ ٣٧٠)، و«شرح النووي على صحيح مسلم»: (١٤/ ٢٢٣)، و«بلوغ الأرب»: (٣/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠).

(٣) هو قس بن ساعدة بن عمرو، من بني إياد، أحد حكماء العرب في الجاهلية، وأحد خطبائهم. كان أسقف نجران، توفي سنة ثلاث وعشرين قبل الهجرة. «البداية والنهاية»: (٢/ ٢١٤)، و«بلوغ الأرب»: (٢/ ٢٤٤).

ماذا طلابك علم شيء أغلقت من دونه الأفلاك ليس ينال
هيهات ما أحد بغامض قدره يدري كم الأرزاق والآجال
إلا الذي فوق السماء مكانه فلوجهه الإكرام والإجلال

وكان يسود بين العرب نسبة النحوس والسعود إلى الكواكب[1]. وخصوصًا في أشعارهم. فمن ذلك قول عبيد بن الأبرص الأسدي[2]:

ولتأتين بعدي قرون جمة ترعى محارم أيكة ولدودًا
فالشمس طالعة، وليل كاسف والنجم يجري أنحسًا وسعودًا[3]

وقول خفاف بن ندبة السلمي[4]:

كأن كوكب نحس في معرسه أو فارسيًّا عليه سحق سربال[5]

وقول الحارث بن حلزة اليشكري[6]:

لا يرتجي للمال، يهلكه سعد النجوم إليه كالنحس[7]

---

(١) انظر: «المحاسن والمساوئ»: ص٣٢٧ ـ ٣٢٨، و«حكم علم النجوم»: (ق١٤أ).

(٢) هو عبيد بن الأبرص بن عوف الأسدي، أبو زياد، من مضر، شاعر جاهلي، وهو أحد أصحاب المجمهرات المعدودة في الطبقة الثانية بعد المعلقات. «الشعر والشعراء» لابن قتيبة: ص١٦١، و«الأعلام»: (٤/ ١٨٨).

(٣) «بلوغ الأرب»: (٢/ ٢٨١).

(٤) هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمي، وندبة أمة، وهي أمة سوداء، وينسب إليها، وهو ابن عم الخنساء، ويكنى أبا خراشة، أسلم وبقي إلى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
انظر: «الشعر والشعراء»: ص٢١٢، و«مختار الأغاني» لابن منظور»: (٣/ ٤٢٤).

(٥) «ديوان خفاف ابن ندبة»: ص٩١.

(٦) هو الحارث بن حلزة، من بني يشكر، من بكر بن وائل، أحد شعراء الجاهلية.
انظر: «الشعر والشعراء»: ص١١١، و«خزانة الأدب»: (١/ ٣٢٥).

(٧) «المفضليات» للضبي: ص١٣٤.

وقال آخر:

والكوكب النحس يسقي الأرض أحيانًا[1]

أما نسبة المطر إلى الأنواء والنجوم فهو منتشر بينهم بصورة كبيرة، إذ أنهم ينسبون المطر إلى النجم الطالع، وقيل إلى الساقط[2]، ولم يكن أهل الجاهلية يعتقدون أن المنشأ للمطر والخالق له هذه الكواكب، بل كانوا يعلمون أن الله هو المنزل للمطر، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[3]، والذي يدل على نسبتهم المطر إلى الأنواء قول النبي ﷺ في ذلك: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**»[4]، فجعل الذي يستسقي بالنجوم مشابهًا لأهل الجاهلية في هذا الفعل تنفيرًا منه، لذلك ورد التغليظ في النهي عن القول بقول أهل الجاهلية هذا في حديث زيد بن خالد الجهني[5] أنه قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمن**

---

(١) «نهاية الأرب»: (١/ ٦٤).

(٢) انظر: «الأنواء في مواسم العرب» ص٩.

(٣) انظر: «تيسير العزيز الحميد»: ص٤٥٤، والآية رقم ٦٣ من سورة العنكبوت.

(٤) رواه مسلم: (٣/ ٤٥)، كتاب الجنائز.

(٥) هو زيد بن خالد الجهني المدني، مختلف في كنيته، صحابي شهد الحديبية، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح، توفي سنة ثمان وسبعين، وقيل: قبل ذلك. انظر: «تهذيب الكمال»: (١/ ٤٥٣)، و«الإصابة»: (١/ ٥٦٥).

بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»[1]، يحذر النبي ﷺ الناس من اقتفاء أثر أهل الجاهلية بسلوك هذا المسلك.

وبعض العرب كان يصبو إلى الصابئة ـ الذين كانوا على دين إبراهيم ـ ويعتقد في الأنواء اعتقاد المنجمين في النجوم السيارة، حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم إلا بنوء من الأنواء[2]، وبعضهم كان يعظم الشمس والقمر، ويعتقد أن الكسوف والخسوف لا يحدثان إلا لموت عظيم أو لحياته فبين النبي ﷺ أن هذا اعتقاد باطل، وأن الشمس والقمر خلقان مسخران[3] بقوله: «**إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتموهما فصلوا**»[4]، كما كانوا يجعلون النجوم التي ترمى بها الشياطين دلالة على الحوادث الأرضية من موت وحياة ونحو ذلك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار. فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم. فقال رسول الله ﷺ: «**فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى**

---

(١) أخرجه البخاري: (٢/ ٨٦)، كتاب الاستسقاء، ومسلم: (١/ ٥٩)، كتاب الإيمان.

(٢) انظر: «الملل والنحل»: (٢/ ٢٣٨).

(٣) انظر: «شرح النووي على صحيح مسلم»: (٦/ ٢٠١)، و«فتح الباري»: (٢/ ٥٢٨).

(٤) متفق عليه تقدم ص١٠٢.

أمرًا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذي يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال. قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضًا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون[١] فيه ويزيدون»[٢].

وجعلوا انقضاض شيء من البروج الاثني عشر دالاً على ذهاب الدنيا[٣]. ولم يخف عليهم الخط على الرمل بل كان يتخذها رجال منهم صناعة لهم، ويرجع إليهم في معرفة الأمور مستقبلاً غالبًا، كما ذكر هذا معاوية ابن الحكم السلمي[٤] رضي الله عنه لرسول الله ﷺ حيث قال: يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام وإن منا رجالاً يأتون الكهان. قال: «**فلا تأتهم**»، قال: ومنا رجال يتطيرون قال: «**ذلك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدنهم**». قال: قلت: ومنا رجال يخطون. قال: «كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك»[٥].

ولم يقتصر الحال على نسبة التأثير لهذه الكواكب، بل تعدى إلى عبادة

---

(١) معناه يخلطون فيه الكذب، وهو بمعنى يقذفون. «شرح النووي»: (١٤/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه مسلم: (٧/ ٣٦ ـ ٣٧)، كتاب السلام.

(٣) انظر: «تفسير القرطبي»: (١٧/ ٨٢ ـ ٨٣)، و«المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»: (٨/ ٤٣٤).

(٤) صحابي، كان يسكن بني سليم وينزل المدينة. «أسد الغابة»: (٥/ ٢٠٧)، و«الإصابة»: (٣/ ٤٣٢).

(٥) أخرجه مسلم: (٢/ ٧٠)، كتاب الصلاة.

بعضها، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[١]، وهذا إخبار من الله من قبيلة سبأ باليمن بأنهم لا يعرفون سبيل الحق الذي هو إخلاص السجود لله وحده، دون ما خلق من الكواكب وغيرها، لذلك اتجهوا إلى عبادة الشمس والسجود لها من دون الله[٢]، وكان يعتقد هؤلاء أن جميع الموجودات السفلية صادرة من الشمس، لذلك فهي تستحق التعظيم والعبادة، فكانوا يسجدون لها إذا طلعت وإذا غربت، وإذا توسطت الفلك، ولهذا يقارنها الشيطان في هذه الأقات لتقع عبادتهم وسجودهم له، ولهذا نهى النبي ﷺ عن تحري الصلاة في هذه الأوقات، قطعًا لمشابهة الكفار، وسدًّا لذريعة الشرك[٣]، فقال: «**إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب، ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، فإنها تطلع بين قرني شيطان**»[٤]، وكذلك عبدت خزاعة وغيرها الشِّعرى، سن لهم ذلك أبو كبشة[٥] رجل من أشرافهم[٦]، ولهذا ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾[٧]، والشعرى الكوكب المضيء الذي يطلع

---

(١) سورة النمل، الآية: ٢٤.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٣٦١).

(٣) انظر: «بلوغ الأرب»: (٢/ ٢١٥ ـ ٢١٦).

(٤) أخرجه البخاري: (٤/ ٢٥٠)، كتاب بدء الخلق، ومسلم: (٢/ ٢١٠)، كتاب صلاة المسافرين.

(٥) اسمه وجز بن عامر بن غالب. «فتح الباري»: (١/ ٤٠).

(٦) انظر: «الكشاف»: (٤/ ٣٤)، و«تفسير القرطبي»: (١٧/ ١١٩)، و«تفسير أبي السعود»: (٥/ ٦٥١)، و«بلوغ الأرب»: (٢/ ٢٣٩).

(٧) سورة النجوم، الآية: ٤٩.

بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر، والمقصود بها الشعرى العبور، وأصحاب الصور يرسمونها في السرطان، وقد كان من لا يعبد الشعرى من العرب يعظمها، ويعتقد تأثيرها في العالم قال الشاعر:

مضـى أيلـول وارتفـع الحـرور وأخبت نارها الشعرى العبور[١]

وطائفة من قبيلة تميم عبدوا (الدبران) من النجوم، كما عبد بعض طيء الثريا، وهي عدة كواكب مجتمعة، وبعض قبائل ربيعة عبدوا (المرزم)، والمرزمان نجمان من الشعريين، والرزم بمعنى الجمع، ورزم الشتاء رزمة: برد، وبه سمي نوء المرزم[٢].

وعبدت كنانة القمر[٣]، وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة، وإليه تدبير العالم السفلي، ومن شريعة عبادتهم أنهم اتخذوا له صنمًا على شكل عجل، وبيد الصنم جوهرة، يعبدونه ويسجدون له، ويصومون له أيامًا معلومة من كل شهر، ثم يأتون إليه بالطعام والشراب والفرح والسرور[٤].

* * *

(١) انظر: «تفسير القرطبي»: (١٧/ ١١٩).

(٢) انظر: «بلوغ الأرب»: (٢/ ٢٣٩).

(٣) المصدر السابق نفسه: (٢/ ٢٤٠).

(٤) المصدر نفسه: (٢/ ٢١٦).

الفصل الرابع

دور أعداء الإسلام في نشر التنجيم بين المسلمين

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: دور أهل الكتاب وغيرهم من المشركين في نشر التنجيم بين المسلمين.

المبحث الثاني: دور الرافضة في نشر التنجيم بين المسلمين.

المبحث الأول:

دور أهل الكتاب وغيرهم من المشركين
في نشر التنجيم بين المسلمين

كانت الشعوب والقبائل التي أدخلها المسلمون تحت حكم الإسلام خليطًا من أصحاب عقائد شتى، وأديان متنوعة، وثقافات مختلفة.

فالفرس كانوا على الديانة المجوسية التي بنيت على تعظيم الأنوار، وعلى جعل مبدأ موجودات العالم من اختلاط النور بالظلمة، وعلى الاتجاه إلى الشمس عند السجود ونحو ذلك(١). كما كانت الصابئة في حران وفي غيرها من نواحي العراق تعبد الكواكب، وتزعم أن لها تأثيرًا في العالم السفلي، وتدعي أن لها أرواحًا، وأنها تتجلى في الكواكب ونحو ذلك(٢).

كما كانت المدارس الفلسفية التي تحمل ثقافة اليونان والتي تضم أديانًا مختلفة من يهود ونصارى وصابئة ومجوس وغيرهم منتشرة بين هذه الشعوب كمدرسة الرها، ومدرسة نصيبين، ومدرسة حران، ومدرسة جنديسابور، ومدرسة الإسكندرية(٣).

---

(١) انظر: «الملل والنحل»: (١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٨)، و«إغاثة اللهفان»: (٢/ ٢٤٢، وما بعدها).

(٢) انظر: «الآثار الباقية»: ص٢٠٤ ـ ٢٠٧، و«إغاثة اللهفان»: (٢/ ٢٤٥، وما بعدها).

(٣) انظر: «تاريخ الفلسفة العربية»: ص١٩ ـ ٢٠.

ومدرسة الرها: الرها مدينة تابعة لتركيا اليوم، وبالأمس لشمال العراق، أنشأ هذه المدرسة الفرس، واستقدموا أساتذة من خريجي الإسكندرية السريان. =

وكانت الفلسفة في نظر أصحاب هذه المدارس هي خلاصة العلوم فالفيلسوف يعرف الطب والحساب والهندسة والموسيقا والنجوم، وتغلب عليه إحدى الصفات لتفوقه في علم من هذه العلوم[(١)].

ويغلب على مدرسة الإسكندرية هذه التوفيق بين الدين والفلسفة، وتعتبر أكبر المدارس ضررًا على عقائد المسلمين[(٢)].

وهذه الأديان والاتجاهات المختلفة أثرت تأثيرًا كبيرًا في ثقافة شعوبها، مما جعل التنجيم جزءًا من ثقافة هذه الشعوب، وبالتالي جعل نقل هذه الثقافة إلى المسلمين وسيلة لنشر التنجيم بينهم.

وذلك لما فتحت الدولة العباسية أبواب ترجمة كتب اليونان، واستقطبت من الروم كتبًا كثيرة في الفلسفة والفلك والطب والتنجيم ونحو ذلك.

= ومدرسة نصيبين: كانت لغة التعليم فيها اللغة الرسانية وتأثرت العلوم اليونانية فيها بتيارات فارسية وهندية.

ومدرسة حران: أنشئت في مدينة حران الواقعة في العراق بين دجلة والفرات، وكان معقلاً للديانات البابلية والصابئية، وللفلسفة الأفلاطونية.

ومدرسة جنديسابور: تسربت في هذه المدرسة الثقافة الهندية، وحصل تفاعل بين الثقافات اليونانية والسريانية والفارسية والهندية.

ومدرسة الإسكندرية: أنشأها أساتذة مدرسة أثينا الفلسفية، وتعتبر هذه المدرسة الأم بالنسبة للمدارس الأخرى، ومنها مدرسة أنطاكية نقل السريان ثقافة اليونان إلى بقية المدارس. انظر: «تاريخ الفلسفة العربية»: (٢/٦ ـ ١٢)، و«دراسات في تاريخ الفلسفة العربية والإسلامية»: ص١٤٩ ـ ١٥٣.

(١) انظر: «دراسات في تاريخ الفلسفة العربية والإسلامية»: ص١٤٣.

(٢) انظر: «الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية»: ص١٠٧ ـ ١٠٨.

وكان بداية ذلك في عهد أبي جعفر المنصور ـ حيث دخل الدولة الإسلامية كثير من اليهود والنصارى والمجوس والصابئة من المنجمين والفلاسفة الذين تأثروا بتلك المدارس الفلسفية، ومن غيرهم، فوجدها أعداء الإسلام هؤلاء ثغرة يستطيعون بث سمومهم منها بنشر الفلسفة والتنجيم بين أبناء المسلمين، إذ لم يكن دخول هؤلاء بين المسلمين وترجمة كتب الفلاسفة، لهدف مادي أو لهدف نشر العلم على حسب مفهومهم لمعنى العلم ـ ولكن كان الهدف هو الدعوة إلى نحلتهم، ونصرة مذهبهم، وصرف المسلمين عن دينهم، كما صرح بذلك كثير من كتّابهم[١].

فنجد نوبخت الفارسي من أوائل من وفد على المنصور وحظي عنده بمنزلة رفيعة[٢]، وتوارث أبناؤه هذه الصناعة بعده[٣].

كما أن يحيى بن أبي منصور المنجم الفارسي المجوسي كان في بلاد المأمون، ورغبة المأمون في الإسلام فأسلم، واستمرت صناعة التنجيم في سلالته[٤]، كما أن من آثاره، تأديب أبناء موسى بن شاكر[٥]، وتعليمهم أصناف الفلسفة، مما جعل لهم دورًا كبيرًا في نشر الفلسفة فيما بعد، إذ

(١) انظر: «الإسلام والفلسفات القديمة»: ص٥٨ ـ ٥٩.

(٢) انظر: «البداية والنهاية»: (١٠/ ١٢٥).

(٣) انظر: «تاريخ الحكماء»: ص٤٠٩.

(٤) انظر: «الفهرست» لابن النديم: ص٢٠٥، و«تاريخ الحكماء»: ص٣٥٧، و«الأعلام»: (٨/ ١٧٣).

(٥) كان موسى بن شاكر من منجمي المأمون، وكان متقدمًا هو وبنوه ـ فيما بعد ـ محمد وأحمد والحسن في علم الهندسة، وهيئة الأفلاك، وحركات النجوم، وقد توفي وهم صغارٌ، ولم يكن من أهل العلم والأدب، بل كان لصًا يقطع الطريق. انظر: «تاريخ الحكماء»: ص٣١٥، ٤٤١، و«الأعلام»: (٧/ ٣٢٣).

إنهم تناهوا في طلب العلوم القديمة، وبذلوا فيها الرغائب، وأتعبوا أنفسهم فيها، وأنفذوا إلى بلاد الروم من أخرجها لهم، فأحضروا النقلة من الأصقاع والأماكن المختلفة بالبذل السخي[١].

كما أن وجود ما شاء الله المنجم اليهودي، واسمه ميشا بن أبري في زمن المنصور، وبقاؤه إلى عصر المأمون يوضح دوره في هذا الشأن، وخصوصًا إذا علمنا أن الرجل قام بتصنيف كتب في التنجيم مثل كتاب المواليد الكبير، وكتاب القرانات والأديان والملل، والكتاب المسمى بالسابع والعشرين[٢].

وكذلك سند بن علي اليهودي كان في زمن المأمون، وكان منجمًا، وكان خبيرًا بتسيير النجوم، وعمل آلات الرصد والاصطرلاب[٣]، ولسند هذا زيج[٤] مشهور استمر عمل المنجمين به فترة من الزمن، وله تصانيف كثيرة في هذه الصناعة[٥].

وكذلك سهل بن بشر بن هاني اليهودي المنجم، كان في خدمة الحسن

---

(١) انظر: «تاريخ الحكماء»: ص٤٤١، ٣١٥ ـ ٣١٦.

(٢) انظر: «الفهرست» لابن النديم: ص٣٨٢، و«تاريخ الحكماء»: ص٣٢٧.

(٣) انظر: «الفهرست» لابن النديم: ص٣٨٣.
والاصطرلاب بالسين والصاد كلمة يونانية، معناها مقياس النجوم، ويقصد بها الآلة المستعملة في استخراج حساب النجوم. انظر: «مفتاح العلوم» للخوارزمي: ص٢٥٣، و«دائرة المعارف الإسلامية»: (٢/ ١١٤، ١١٥).

(٤) هو جدول يعرف منه مواضع الكواكب في أفلاكها، ويعمل على طريقة حسابية عن طريق معرفة سير الكواكب، وهي كلمة فارسية. انظر: «مقدمة ابن خلدون»: ص٤٨٨ ـ ٤٨٩.

(٥) انظر: «تاريخ الحكماء»: ص٢٠٦ ـ ٢٠٧.

ابن سهل[1] وزير المأمون، وله في التنجيم كتب كثيرة، منها: كتاب المواليد الكبير، وكتاب تحويل سني العالم، وكتاب المدخل الصغير، وكتاب المدخل الكبير، وغيرها[2].

ومن النصارى الذين كان لهم دور في نشر التنجيم عبد الله بن علي النصراني، ويعرف بالدنداني يكنى أبا عليّ، وكان منجمًا قديم العهد، مشهورًا في زمانه بهذه الصناعة، وصنف فيها[3]، كما كان ثيوفل بن توما النصراني المنجم الرهاوي رئيس منجمي المهدي[4].

وأما دور الصابئة فسأكتفي بذكر أشهرهم، وهو ثابت بن قرة بن مروان بن ثابت بن كريا، أو الحسن الحراني الصابئ، من أهل حران، وكان صيرفيًّا بها، ثم انتقل إلى بغداد، واشتغل بعلوم الأوائل، ومهر فيها، وكان جيد النقل إلى اللغة العربية، حسن العبارة، قوي المعرفة باللغة السريانية، وغيرها من اللغات.

وكان يؤنس المعتضد لما سجنه أبوه، وكان يدخل عليه الحبس ثلاث

---

(١) هو الحسن بن سهل بن عبد الله السرخي، أبو محمد وزير المأمون، وأحد كبار القادة والولاة في عصره، ووالد زوجة المأمون (بوران)، كان منجمًا من أهل بيت الرياسة في المجوس، وأسلم، توفي سنة ست وثلاثين ومائتين. انظر: «تاريخ بغداد»: (٧/ ٣١٩)، و«البداية والنهاية»: (١٠/ ٣٢٢ ـ ٣٢٩)، و«وفيات الأعيان»: (٢/ ١٢٠).

(٢) انظر: «الفهرست» لابن النديم: ص٣٨٣، و«تاريخ الحكماء»: ص١٩٦.

(٣) انظر: «تاريخ الحكماء»: ص٢٢١.

(٤) انظر: المصدر السابق نفسه: ص١٠٩.

والمهدي هو الخليفة العباسي أبو عبد الله محمد بن المنصور أبي جعفر الهاشمي العباسي، توفي سنة تسع وستين ومائتين. انظر: «تاريخ بغداد»: (٥/ ٣٩١ ـ ٤٠١)، «سير أعلام النبلاء»: (٧/ ٤٠٠).

مرات يحادثه ويعرفه أحوال الفلاسفة، وأمر الهندسة والنجوم، وغير ذلك، حتى شغف به المعتضد، وأعجب به كثيرًا، ولما تولى الخلافة أقطعه ضياعًا، وقربه إليه، وأدخله في جملة المنجمين[1]، وكانت تغلب عليه الفلسفة، وألف كتبًا كثيرة في فنون من العلم كالمنطق والحساب، والهندسة، والتنجيم، والهيئة، وهو الذي أدخل رئاسة الصابئة إلى العراق، فثبتت أحوالهم، وعلت مراتبهم، وبرعوا، وبلغ ثابت بن قرة هذا مع المعتضد[2] أجل المراتب وأعلى المنازل، حتى كان يجلس بحضرته في كل وقت، ويحادثه طويلاً، ويضاحكه، ويقبل عليه دون وزرائه وخاصته، وله كتاب في طبائع الكواكب، وتأثيراتها، وتُوفي سنة ثمان وثمانين ومائتين[3].

---

(١) انظر: «عيون الأنباء»: ص٢٩٥.
وذكر ابن النديم وابن أبي أصيبعة في موضع آخر وابن القفطي: (أن محمد بن موسى ابن شاكر استصحبه لما انصرف من بلد الروم، وهو الذي وصله بالمعتضد، وأدخله في جملة المنجمين). انظر: «الفهرست» لابن النديم: ص٣٨٠، و«عيون الأنباء»: ص٢٩٥، و«تاريخ الحكماء»: ص١١٦.
قلت: وهذا خطأ إذ إن محمد بن موسى توفي سنة تسع وخمسين ومائة كما ذكره ابن النديم: ص٣٧٩، و«المعتضد» لم يتول الخلافة إلا في سنة تسع وسبعين ومائتين. والله أعلم.

(٢) هو أحمد بن محمد الموفق، الملقب بناصر الدين، أحد الخلفاء العباسيين، كان شجاعًا فاضلاً، حازمًا، جريئًا، أقام شعار الخلافة بعد ضعفها، ورفع منارها. توفي سنة تسع وثمانين ومائتين. انظر: «سير أعلام النبلاء»: ص٣٨٠، و«البداية والنهاية»: (١١/ ٩٢).

(٣) انظر: «الفهرست» لابن النديم: ص٣٨٠، و«تاريخ الحكماء»: ص١١٦.

وما ذكرناه آنفًا ما هو إلا نماذج لعمل أعداء الإسلام في نشر التنجيم بين المسلمين واستغلالهم تشجيع الخلفاء لهم وغفلة المسلمين عن خطرهم، فدخلوا على المسلمين من هذه الثغرة.

وبعد أن ترجمت كثير من كتب الفلاسفة انتشرت هذه الكتب، وتصفحها بعض المسلمين، فصاروا يعتقدون كما يعتقد الفلاسفة[١]، فاعتقدوا أن الأفلاك نفوسًا وعقولاً، وجعلوا الحوادث الكون والفساد مدبرة من قبل النفوس الفلكية العاقلة[٢].

وأراد الفلاسفة أن يصبغوا عقيدتهم الباطلة صبغة شرعية ـ مستمدين هذه الطريقة من فلاسفة مدرسة الإسكندرية ـ ليمتصوا بذلك نقمة المسلمين منهم، ولتكون عقيدتهم أدعى لقبول المسلمين إياها، فسموا الأفلاك ملائكة، وسموا ما ادعوه من تدبير الأفلاك للكون بخلافة الملائكة في تدبير خلائقه[٣].

ومن عرف مراد الأنبياء ومراد الفلاسفة علم بالاضطرار أن هذا ليس هو ذاك، فقد علم بالاضطرار من دين الأنبياء أنه ليس من الملائكة عندهم من هو رب، ولا من هو قديم أمزلى أبدي لم يزل ولا يزال[٤].

واتخذ كثير من هؤلاء الفلاسفة التشيع ستارًا لهم كيعقوب بن

---

(١) انظر: «مقدمة ابن خلدون»: ص٥١٥.

(٢) انظر: «الملل والنحل»: (٢/١٨٨ ـ ١٨٩، ٢١٤)، و«السر المكتوم» للرازي: (ق١٨٥ ـ ١٨٨).

(٣) انظر: «رسائل إخوان الصفا»: (١/١٤٥).

(٤) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (١/٢٤٣ ـ ٢٤٤).

إسحاق الكندي[1]، وابن سينا[2]، وإخوان الصفا، وغيرهم، وذلك لعلمهم بأن الشيعة من أجهل الطوائف، وأضعفها عقلاً وعلمًا، وأبعدها عن دين الإسلام علمًا وعملاً[3].

* * *

---

(١) انظر: «فرج المهموم»: ص١٢٥، و«مقدمة ابن خلدون»: ص٣٣٨.
والكندي هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي، وهو أحد أبناء ملوك كندة، وهو متبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية، متخصص في أحكام النجوم، نشأ في البصرة، ثم انتقل إلى بغداد، هلك سنة ستين ومائتين. انظر: «الفهرست» لابن نديم: ص٣٥٧، و«تاريخ الحكماء»: ص٣٦٦، و«الأعلام»: (٨/ ١٩٥)، و«الذريعة»: (٢٤/ ٧٨).

(٢) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (٣٥/ ١٣٤ ـ ١٣٦)، و«إغاثة اللهفان»: (٢/ ٢٦٢، ٢٦٣).
وان سينا هو الحسين بن عبد الله بن سينا، إمام الملحدين فلسفي النحلة، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات، أصله من بلخ من خراسان، هلك سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. انظر: «وفيات الأعيان»: (٢/ ١٥٧)، و«لسان الميزان»: (١/ ٥٣٩)، و«إغاثة اللهفان»: (٢/ ٢٦٢، ٢٦٣)، و«هدية العارفين»: (١/ ٣٠٨).

(٣) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (٣٥/ ١٣٤ ـ ١٣٦).

دور الرافضة في نشر التنجيم بين المسلمين

أقر الرافضة بالتنجيم وبتأثير الكواكب في هذا الكون بالسعود والنحوس والموت والحياة، ونحو ذلك، إلا أنهم أرادوا أن يصبغوا معتقدهم هذا بصيغة إسلامية أشد من صبغة الفلاسفة، وينمقوه أكثر من تنميق الفلاسفة. فقالوا: إن النجوم مؤثرة في هذا الكون، إلا أن تأثيراتها بفعل الله تعالى، وأنها علامات على حوادث عالم الكون والفساد، إلا أن هذه العلامات ليست لازمة، إذ قد يغير الله تلك العادة لما يراه من المصلحة[1]، وهذا مبني على عقيدتهم الفاسدة التي يصفون الله فيها بالبداء[2] تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، وحتى لا يلزموا بظهور الكذب في أكثر الحوادث التي يخبر بها المنجمون، فإن سئلوا عن ذلك قالوا: بدا الله أن يغير هذه العلامة في هذا الموضع.

وخصصت الكلام في هذا المبحث عن دور الرافضة في نشر التنجيم، دون دور غيرهم ممن ينتسب إلى الإسلام، لأن الرافضة أكثر الطوائف كلامًا في التنجيم، وأعظمها أثرًا في زرع هذه الصناعة ونشرها، ويتضح هذا الأمر من أربعة أوجه:

---

(١) انظر: «فرج المهموم»: ص٧٢ ـ ٧٤.

(٢) انظر: «الأصول من الكافي»: (١/ ١١٣)، و«أوائل المقالات»: ص٩١.
ومعنى البداء: أن الله يريد أن يفعل الشيء في وقت من الأوقات، فيبدو له تركه.
انظر: «مقالات الإسلاميين»: ص٣٩. وهذا الاعتقاد لا يجوز للمسلم اعتقاده إذ أنه ينافي الاعتقاد بعلم الله بما كان وبما يكون وبما سيكون.

الوجه الأول: دور الرافضة الواضح في العمل على تأصيل علم التنجيم بإيراد الشبه، وتدعيمه بالآيات التي يزعمون أنها تؤيد ما ذهبوا إليه، وبالأحاديث المكذوبة، وبنسبته إلى الأنبياء، وإلى من زعموا أنهم أئمة لهم، ولا شك في وجود الفرق بين من ينسب التنجيم إلى الدين، وبين من ينسبه إلى أحكام استنبطها من النجوم.

الوجه الثاني: استخدموا أساليب متنوعة لغرس التنجيم في قلوب الناس.

الوجه الثالث: تبنى التنجيم كثير من كبار رجالهم، وألفوا فيه كثيرًا من الكتب، وتقربوا به إلى الخلفاء مما جعل لهم مكانة عند عامة الناس.

الوجه الرابع: تأييدهم للفلاسفة والمنجمين وتمكينهم في الأرض كما فعل النصير الطوسي[1] عندما وظف منجمين لرصد الكواكب، وجعل لهم أوقافًا تقوم بمعاشهم، قال ابن القيم في ذلك: (ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد وزير الملاحدة . . ، شفا نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه فعرضهم على السيف حتى شفا إخوانه من الملاحدة، واشتفى هو، فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين، واستبقى الفلاسفة والمنجمين، والطبائعيين والسحرة، ونقل أوقاف المدارس، والمساجد، والربط إليهم، وجعلهم خاصته وأولياءه)[2].

---

(١) هو محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، يكنى بنصير الدين من الرافضة الإمامية، كان فيلسوفًا، متكلمًا، محققًا في العقليات، له منزلة كبيرة عند (هولاكو)، هلك سنة اثنتين وسبعين وستمائة. انظر: «البداية والنهاية»: (١٣/ ٢٨٣)، و«أمل الآمل»: (٢/ ٢٩٩)، و«الأعلام»: (٧/ ٣٠).

(٢) «إغاثة اللهفان»: (٢/ ٢٦٣).

وتتبين هذه الأوجه بما يلي[1]:

أما دورهم في العمل على تأصيل هذا العلم بإيراد الشبهات، واستخدام الأساليب المتنوعة فسيأتي ذكر الآيات والأحاديث في فصل شبهات المنجمين، والرد عليها إن شاء الله.

وأما بالنسبة لنسبة هذا العلم للأنبياء ولأئمتهم فهو مبني على اعتقاد هؤلاء أن الأنبياء والأئمة يعلمون الغيب، فما من شاردة، ولا واردة إلا للأنبياء ولأئمتهم نصيب من علمها كما يزعمون[2]. ومن هذا المنطلق ومن خوفهم أن يظن أن أهل أحكام النجوم قدروا على ما لم يقدر على مثله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأئمتهم المزعومون جعلوا الأنبياء والأئمة يعلمون علم أحكام النجوم[3].

فمن ذلك قول ابن طاوس: (واعلم أن الأحاديث عن الأنبياء عليهم السلام من لدن إدريس عليه السلام إلى الناطق من عترة النبي ﷺ، ومن لدن الملوك الذين ذكرت تواريخهم، وتواريخ العلماء المترددين إليهم ما يضيق عن مجلد واحد من ذكر الجميع، ومنهم من هو حجة، وفيهم أعيان معتمد عليهم في تحقيق ما ذكرناه من أن علم النجوم دلالات وعلامات

---

(١) قصدت في هذا الفصل عرض دورهم في نشر التنجيم فقط، ولم أقصد الرد عليهم هنا إلا ما جاء عرضًا، لأن الردود عليهم لها مواضع أخرى من الرسالة كل بحسبه، فمثلاً ما نسبوه للأنبياء من التنجيم تقدم الرد عليه في فصل تنزيه الأنبياء أن يكونوا منجمين، وما نسب إليهم من علم الرمل سيأتي الرد عليه في مبحث الخط على الرمل وما يلحق به والاستدلال به على المغيبات . . . وهكذا.

(٢) انظر: «الأصول من الكافي»: (١/٢٠٣)، و«الاحتجاج»: (١/٤٥٦، ٣٧٥)، و«تجريد الاعتقاد»: ص٤١٦، و«كشف المراد شرح تجريد الاعتقاد»: ص٤١٦.

(٣) انظر: «فرج المهموم»: ص٢٢٢.

وآيات لله جل جلاله باهرات، وحجج على عبادة ظاهرات[1].

ثم ذكر عن النبي ﷺ أنه كان عالمًا بالتنجيم فقال: (وإلا فقد كان نبينا صلوات الله عليه عالمًا بجميع علوم الأنبياء والمرسلين بغير خلاف فيما أعلم بين المسلمين، وهذا علم النجوم أهله مجمعون أنه من علوم إدريس وجماعة من الأنبياء عليهم السلام، وقد روينا نحن وغيرنا بعض ما وقفنا عليه، وإنما معجزة نبينا أنه علم ذلك العلم وغيره من علوم الأنبياء بغير تعليم أحد من البشر، بل من سلطان الأرض والسماء)[2].

ونسبوا كذلك علم الحروف إلى بعض الأنبياء والمرسلين، وافتروا حديثًا في ذلك عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: (خلق الله الأحرف، وجعل لها سرًّا، فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه السر، ولم يبثه في الملائكة فجرت الأحرف على لسان آدم بفنون الجريان، وفنون اللغات . .)[3] وأخذ يعدد أسماء بعض الأنبياء مبينًا أن هؤلاء كلهم لهم علم بعلم الحروف، وأنهم أخذوها عن طريق الوراثة، فذكر إدريس ونوحًا وإبراهيم، وموسى، وإلياس، وداود، وعيسى، ومحمدًا صلوات الله وسلامه عليهم، كما ذكر محمد بن علي القمي[4] في كتاب التوحيد شيئًا من نسبة علم حروف الجمل إلى عيسى عليه السلام، وحث النبي ﷺ على

---

(١) انظر: المصدر نفسه: ص٣.

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه: ص٧٨.

(٣) «إلزام الناصب»: (١/ ٢٣٢، وما بعدها).

(٤) هو محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الملقب بالصدوق، من كبار علماء الشيعة، توفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة. انظر: «الفهرست» للطوسي: ص١٥٦، و«رجال الحلي»: ص١٤٧.

تعلمه[1]، وهذه الأحاديث كلها لا يحتج بها، كما سوف أبين في فصل حروف أبى جاد والاستدلال بها على المغيبات إن شاء الله تعالى.

وأما نسبة هذا العلم إلى أئمتهم فقد أطنبوا فيه، وذكروا الشيء الكثير مما يدل على معرفة أئمتهم بهذا العلم كما يزعمون، وباعتبار أن مذهبهم أن أقوال الأئمة حجة، تكون هذه النصوص واجبة الأخذ والاعتقاد عندهم. لذلك سمى ابن طاوس في رسالته فرج المهموم بابًا باسم: (فيما نذكره من أخبار من قوله حجة في العلوم على صحة علم النجوم[2] ومن هذه النصوص ما لفقوه على الإمام علي رضي الله عنه أنه قابله دهقان بن دهاقين المدائن فقال له: (أيها الدهقان المنبئ بالأخبار، والمحذر عن الأقدار، ما نزل البارحة في آخر الميزان؟ وأي نجم حل في السرطان؟ قال: سأنظر ذلك، واستخرج من كمه اسطرلابًا وتقويمًا. قال له أمير المؤمنين: أنت مسير الجاريات؟ قال: لا. فأنت تقضي على الثابتات؟ قال: لا، قال: فأخبرني عن طول الأسد وتباعده من المطالع والمراجع . . .)[3] ثم أكمل القصة، وفي آخرها أخبر ببعض ما سيقع عن طريق التنجيم، وما نسبوه إلى عبد الله جعفر الصادق (أنه سئل عن النجوم، فقال: لا يعلمها إلا أهل بيت من العرب وأهل بيت من الهند)[4].

كما أصدروا فتوى باسم جعفر الصادق أنه أحل لهم التنجيم، فقد نقل ابن طاوس عن كتاب التجمل أنه ذكر أن محمدًا وهارون ابني أبي

---

(١) انظر: «كتاب التوحيد» للصدوق: ص٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(٢) «فرج المهموم»: ص٨٥.

(٣) المرجع نفسه: ص١٠٢ ـ ١٠٤.

(٤) «الروضة من الكافي» على «حاشية مرآة العقول»: (٤/ ٤٥٨).

سهل[1] قالا: كتبنا إليه عَلَيْهِ السَّلَامُ نحن ولد نوبخت المنجم، وقد كنا كتبنا إليك: هل يحل النظر في علم النجوم؟ فكتب: نعم[2].

وغير هذا كثير ذكره ابن طاوس، والمجلسي[3]، ونعمة الله الجزائري[4] عن كثير من علمائهم كالكليني[5]، ومحمد بن جرير بن رستم الطبري[6]، ومحمد بن إبراهيم النعماني[7]، وغيرهم[8]، وسنأتي على بعضها في فصل شبهاتهم والرد عليها إن شاء الله.

---

(١) هما ابنا أبي سهل بن نوبخت، أصلهما فارسي، ورد ذكرهما في مقدمة «فرق الشيعة»: ص٤ ـ ٥.

(٢) «فرج المهموم»: ص١٠٠.

(٣) هو محمد باقر المجلسي رافضي إمامي، ولي مشيخه الرافضة في أصفهان، وترجم إلى الفارسية مجموعة كبيرة من الكتب، توفي سنة إحدى عشرة ومائة وألف. انظر: «أمل الآمل»: (٢/ ٢٤٨)، و«لؤلؤة البحرين»: ص٥٥، و«الأعلام»: (٦/ ٤٨).

(٤) هو نعمة الله بن عبد الله بن محمد بن حسين الحسيني الجزائري، من فقهاء الرافضة الإمامية، نسبته إلى جزائر البصرة، توفي سنة اثنتي عشرة ومائة وألف. انظر: «أعيان الشيعة»: (١٠/ ٢٢٦)، و«الأعلام»: (٨/ ٣٩)، و«الذريعة»: (٢/ ٤٤٦).

(٥) هو محمد بن يعقوب الرازي الكليني أبو جعفر، يعتبر شيخ الشيعة وعالم الرافضة الإماميمة، توفي سنة تسع وعشرين وثلاثائة. انظر: «الفهرست» للطوسي: ص١٣٥، و«سير أعلام النبلاء»: (١٥/ ٢٨٠)، و«الأعلام»: (٧/ ١٤٥).

(٦) هو محمد بن جعفر بن رستم الطبري يكنى أبا جعفر، رافضي إمامي، له عدة كتب، أثنى عليه الطوسي شيخ طائفة الرافضة. انظر: «الفهرست» للطوسي: (١٥٩)، و«ميزان الاعتدال»: (٣/ ٤٩٩)، و«لسان الميزان»: (٥/ ١٠٣).

(٧) هو محمد بن إبراهيم بن جعفر، أبو عبد الله الكاتب، النعماني، المعروف بابن أبي زينب، أثنى عليه الحر العاملي. انظر: «أمل الآمل»: (٢/ ٢٣٢).

(٨) انظر للاطلاع على ما ذكرت: «فرج المهموم»: ص٨٥ ـ ١٢٠، و«مرآة العقول»: (٤/ ٢٦٠ ـ ٢٦٤)، و«الأنوار النعمانية»: (١/ ١٨٩ ـ ١٩٣).

ونسبوا إلى جعفر الصادق رَحِمَهُ اللَّهُ كذبًا كتاب الجفر[1]، وهو كتاب يبين حوادث الدنيا على وفق حروف أبي جاد، كما فسرها بذلك علماؤهم، قالوا: (أما الجفر الأكبر فإنه أشار إلى المصادر الوفقية التي هي من أ، ب، ت، ث، . . إلى آخرها وهي ألف وفق، وأما الجفر الأصغر فأنه أشار به إلى المصادر الوفقية التي هي مركبة من أبجد إلى قرشت، وهي سبعمائة وفق)[2].

كما نسبوا هذا العلم إلى الأنبياء والأولياء، قال علي الحائري[3]: (قال بعض العارفين: إن الحروف سر من أسرار الله تعالى، والعمل بها من أشرف العلوم المخزونة، وهو من العلم المكنون المخصوص به أهل القلوب الطاهرة من الأنبياء والألياء . . ولا بد للشارع في علم الحروف من معرفة علم التصحيف، كتب علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ: خراب البصرة بالريح، يعني بالزنج)[4].

وجعلوا للأيام تأثيرًا في قضاء الحوائج، وقسموها إلى سعود ونحوس كما هو الحال في الكواكب والبروج، وتقسيمهم هذه الأيام، وتحديد نوع الأثر لكل يوم على حسب حوادث وقعت قديمًا غالبًا، قد يصدق وقوع الحوادث في هذه الأيام المذكورة، وقد لا يصدق، مثال ذلك: ما ذكره

---

(١) انظر: «مقدمة ابن خلدون»: ص٣٣٤.

(٢) انظر: «إلزام الناصب»: (١/ ٢٣٥).

(٣) هو علي بن المرزا محمد رضا بن المرزا أبي الحسن بن المرزا محمد على الجعفري اليزدي الحائري الكبير، توفي سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف. انظر: «نقباء البشر»: (٤/ ١٤٣٣ ـ ١٤٣٤).

(٤) «إلزام الناصب»: (١/ ٢٣٦).

نعمة الله الجزائري، ويوسف البحراني[1] عن جعفر الصادق قال: (إن اليوم الأول من الشهر خلق الله فيه آدم، وهو يوم مبارك لقضاء الحوائج وللدخول على الحكام والسلاطين، ولطلب العلم والتزويج، وللأسفار والبيع والشراء، وإذا ضل فيه حيوان أو فقد فإنه يرجع إلى صاحبه بعد ثمانية أيام، وإذا مرض فيه مريض فإنه يعافى بإذن الله، وإذا ولد فيه مولود يكون سمحًا مرزوقًا مباركًا إلى آخر عمره)[2]، وفي الرواية المذكورة نفسها أيضًا: (الثالث عشر يوم نحس فليحترز فيه عن الجدل والنزاع، والدخول على الملوك والسلاطين، وحلق الرأس ومسحه بالدهن، وجميع الحوائج، والآبق فيه لا يرجع، ولا يحصل سريعًا، ومن مرض فيه يناله التعب، والمولود فيه لا يكون عمره طويلاً)[3]، ومثل هذا الإفك ذكروه في بقية الأيام وقسموه على أيام الأسبوع وأيام الشهر.

وكذلك قالوا في الكسوف والخسوف، والزلازل والأمطار والرعود، واعتقاد مثل هذا يعمق عقيدة تأثير الكواكب في نفوس أتباعهم ومصدقيهم، بل هومن جنس تأثير الكواكب الذي نهى النبي ﷺ عن اعتقاده فيما رواه الشيخان رحمهما الله أن النبي ﷺ قال: «**إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله، فإذا**

---

(١) هو يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي البخراني، من آل عصفور، فقيه رافضي إمامي من أهل البحرين، توفي سنة ست وثمانين ومائة وألف. «أعيان الشيعة»: (١٠/ ٣١٧)، و«مقدمة الكشكول»: (ب - و)، و«الأعلام»: (٨/ ٢١٥)، و«الذريعة»: (١٨/ ٣٧٩).

(٢) انظر: «الأنوار النعمانية»: (٢/ ١١٣)، و«الكشكول» للبحراني: (١/ ٣٦٠).

(٣) «الأنوار النعمانية»: (٢/ ١١٥)، و«الكشكول» للبحراني: (١/ ٣٦٧).

رأيتموهما فصلوا»[1]، وسأكتفي بذكر مثال واحد يبين اعتقادهم في هذه الأمور، قالوا في اعتبار أن الكسوف مؤثر في هذا العالم: (إذا انكسفت ـ يعني الشمس ـ في جمادى الآخرة فإنه يموت رجل عظيم بالغرب، ويقع ببلاد مصر قتال وحروب شديدة، ويكون ببلاد المغرب غلاء في آخر السنة)[2].

أما دور رجال الرافضة في نشر التنجيم فهو أن أبا جعفر المنصور ومن بعده من الخلفاء قربوا الأعاجم لترجمة الكتب اليونانية والسريانية، وكان من المقربين عندهم بعض الرافضة، وذلك معرفتهم باللغة الفارسية، إذ أن كثيرًا من كتب الفلاسفة ترجمت باللغة الفارسية في عهد الملك أردشير ابن بابك[3]. وبوجود هذا العنصر في هذا المركز تهيأت له فرصة الاختلاط بالناس بصورة أكبر، وفرصة التأليف في التنجيم، وترجمة كتب الفلاسفة بصورة أوسع وآمن في نفس الوقت. وهذا الوجود وهذا الاختلاط وهذا التأليف وهذه الترجمة كلها من الأسباب الرئيسية لوجود التنجيم ونشره.

فمن هؤلاء المنجمين الذين وجدوا في الدولة العباسية من الرافضة، وكان لهم دور في نشر التنجيم بين المسلمين أبو سهل بن نوبخت، وآل نوبخت معروفون عند الإمامية بولايتهم لمذهبهم[4]، وأبو سهل هذا فارسي، منجم، حاذق، خبير باقتران الكواكب وحوادثها المزعومة[5]،

---

(١) متفق عليه، تقدم تخريجه: ص١٠٢.

(٢) انظر: «الأنوار النعمانية»: (٢/ ١٢٣)، و«الكشكول» للبحراني: (١/ ٣٩٥).

(٣) انظر: «الفهرست» لابن النديم: ص٣٣٣ ـ ٣٣٤.

(٤) انظر: «الفهرست» لابن النديم: ص٢٥١، و«أعيان الشيعة»: ص٢٣٢.

(٥) انظر: «تاريخ الحكماء»: ص٤٠٩.

قام بالتنجيم مقام أبيه، وحاز هو وبنوه الشهرة الواسعة في علم النجوم وترجمة أصوله وفصوله إلى العربية، ولم يقنعوا بترجمة علم النجوم فقط، بل نقلوا إلى لغة الضاد كتب الفلاسفة في أنواع العلوم من لغتها الفارسية[1].

والفضل بن أبي سهل بن نوبخت، مذكور مشهور، من أئمة متكلمي الرافضة، وكان في زمن هارون الرشيد، وولاه القيام على خزانة كتب الحكمة، وكان ينقل من الفارسي إلى العربي ما يجده من كتب الحكمة الفارسية، وله من التصانيف في التنجيم: كتاب البهطمان في المواليد، كتاب الفأل النجومي كتاب المواليد، كتاب المدخل، كتاب تحويل سني المواليد، كتاب المنتحل من أقاويل المنجمين في الأخبار والمسائل والمواليد وغيرها[2].

وعبد الله بن أبي سهل بن نوبخت المنجم، منجم مأموني كبير القدر في صناعته، يعلم المأمون قدره في ذلك[3].

والحسن بن موسى النوبختي، يكنى أبا محمد، متكلم رافضي فيلسوف ثقة عند الإمامية[4]، كان حسن المعرفة بالنجوم، كثير الكلام فيه، وله فيه مصنفات، تُوفي سنة عشر وثلاثمائة[5].

وأحمد بن محمد بن خالد البرقي أبو جعفر، أصله كوفي، ثقة عند

---

(١) «فرق الشيعة»: ص٧.

(٢) انظر: «تاريخ الحكماء»: ص٢٥٥، و«فرج المهموم»: ص١٢٥.

(٣) «تاريخ الحكماء»: ص٢٢١، و«فرج المهموم»: ص١٣١.

(٤) انظر: «الفهرست» للطوسي: ص٤٦، و«نتائج تنقيح المقال»: ص٣٨.

(٥) «فرق الشيعة»: ص٩ ـ ١٠، و«فرج المهموم»: ص١٢٥، و«رجال الحلي»: ص٣٩.

الرافضة[1]، له من التصانيف في علم النجوم: المحاسن وكتاب النجوم، وكتاب الجمل[2].

وأحمد بن محمد بن عاصم أبو عبد الله، ويقال له: العاصمي، ثقة عند الرافضة، له كتاب في علم النجوم[3].

ومحمد بن أبي عمير، يكنى أبا أحمد، من موالي الأزد، من أوثق الناس عند الرافضة، تُوفي سنة سبع عشرة ومائتين للهجرة[4]، وذكر ابن طاوس معرفته بالنجوم، ثم قال: (ولو لم يكن في الشيعة عارفًا بالنجوم إلا محمد بن أبي عمير لكان حجة في صحتها وإباحتها، لأنه من خواص الأئمة والحجج في مذاهبهم ورواياتهم)[5].

ومحمد بن مسعود العياشي، من أهل سمرقند، من فقهاء الشيعة الإمامية، أوحد دهره وزمانه في معرفة علومهم، له كتاب النجوم والفأل والعيافة والزجر[6].

وأبو الحسن علي بن أحمد العمراني، من أهل الموصل، كان جَمَّاعة للكتب، يقصده الناس من المواضع البعيدة للقراءة عليه[7]، وذكر ابن

---

(١) انظر: «الفهرست» للطوسي: ص٢٠، و«نتائج التنقيح»: ص١٠.

(٢) انظر: «الفهرست» للطوسي: ص٢٠، و«فرج المهموم»: ص١٢٢.

(٣) انظر: «الفهرست» للطوسي؛ ص٢٨، و«فرج المهموم»: ص١٢٢، و«رجال الحلي»: ص١٦.

(٤) انظر: «الفهرست» للطوسي: ص١٤٢، و«رجال الحلي»: ص١٤٠.

(٥) انظر: «فرج المهموم»: ص١٢٤.

(٦) انظر: «الفهرست» لابن النديم: ص٢٧٤ ـ ٢٧٥، و«الفهرست» للطوسي: ص١٣٦ ـ ١٣٧، و«فرج المهموم»: ص١٢٤، و«رجال الحلي»: ص١٤٥.

(٧) «الفهرست» لابن النديم: ص٣٩٤.

طاوس أنه على مذهبهم[1]، وله من التصانيف: كتاب «المواليد» و«الاختيارات»[2].

وأبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاوس الحسني، له قدر عظيم عند الرافضة، وله من المصنفات رسالة في الحلال والحرام من علم النجوم[3]. قلت: وهذه الرسالة هي التي تسمى (فرج الهموم في تاريخ علماء النجوم)، وقد تضمنت بيان جواز الاشتغال بعلم أحكام النجوم، ونفي أن تكون النجوم مدبرة مختارة، وبين أن هذا هو مذهب الإمامية الرافضة، وسرد الأدلة على ذلك، وذكر فيها ما أسند إلى الأئمة من الأقوال والأفعال الدالة على جواز تعلم هذه الصناعة، واستخدامهم لها، وفسر كلام المخالفين له تفسيرًا يتناسب ومذهبه، كما ذكر في هذه الرسالة جملة من منجمي الرافضة غير من ذكرتهم. فمن طلب الاستزادة رجع إلى هذه الرسالة، وإلى كتب رجال الرافضة[4]. وهذه الكتب كلها مشهورة عند الرافضة، كما أن هؤلاء الرجال مذكورون في عداد الرافضة، بل ويفتخرالرافضة اليوم بتأليف هؤلاء لهذه الكتب.

قال صاحب الذريعة: (نعم اهتمت الشيعة بالنجوم، وترجموا كتبها القديمة، وعرضوها على أئمتهم، وبعد أخذ موافقتهم أدخلوها في العلوم الإسلامية، وخدموا بها الأمة جمعاء)[5].

---

(١) انظر: «فرج المهموم»: ص١٢٧.

(٢) انظر: «تاريخ الحكماء»: ص٢٣٣، و«فرج المهموم»: ص١٢٧.

(٣) انظر: «أمل الآمل»: (٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

(٤) وارجع أيضًا رلى كتاب «الذريعة»: (٢٣/ ٢٣٣ ـ ٢٣٧)، و(٢٤/ ٧٣ ـ ٨٠).

(٥) «الذريعة»: (٢٤/ ٧٣).

التنجيم في العصر الحاضر

انتشرت صناعة التنجيم في العصر الحاضر انتشارًا كبيرًا، وأصبح التنجيم في أغلب صوره وسيلة من وسائل ابتزاز أموال الآخرين، وتنجيم هؤلاء يقوم غالبًا على التمويه على الناس، ودراسة أحوال الضحية بما يتضح من شكلها، وبما ينطق لسانها، من خلال استدراج ذكي يصطادون به الكلمات من أفواه السذج من الناس، ثم يرتبون على ذلك أخبارًا بأمور عامة، غالبًا ما يتعرض لها الإنسان في حياته اليومية، وتتفق مع دراستهم السابقة لحاله كالأمور العاطفية، والمالية، والصحية، ونحو ذلك، فإذا حصل ما يحصل للمرء عادة موافقًا لتمويهات المنجم شهر ذلك بين الناس، فأخذ البهتان يغزو القلوب الخالية من الإيمان، والبعيدة عن منهج الله، وأصبح لهؤلاء النصابين صيت، ولإفكهم الواضح زبائن ومروجون. ولوجود هذه الطبقة من الناس بالإضافة إلى رقي وسائل الإعلام وغيرها من المخترعات الحديثة اتخذ التنجيم في عصرنا الحاضر صورًا تختلف أكثرها عن صور التنجيم الماضي، ووسائل تختلف أكثرها عن وسائل المتقدمين، جعلت للتنجيم انتشارًا سهلاً بين عامة الناس، ومن هذه الوسائل المستخدمة ما يلي:

الوسيلة الأولى انتشار التنجيم عبر وسائل الإعلام كالصحف والمجلات وغيرها، وتعتبر هذه الطريقة أوسع طرق انتشار التنجيم، ويكون التنجيم عادة في هذه المجلات والصحف تحت عنوان: الأبراج، أو الحظ والأبراج، أو حظك والنجوم، أو نحو هذه العناوين، ويستخدم

كتابها فيها طريقة التمويه، والكلام المجمل ـ كما أسلفت الكلام عن ذلك في بداية الفصل ـ وأذكر مثالاً لذلك من مجلة (كل العرب) تحت برنامج الحظ والنجوم يقول المحرر: (الحمل: العشر الأول: على تيار عاطفي، قد يؤدي إلى النجاح أو السعادة، رغم نزعة بالغة نحو التردد أو الإهمال، أو الهجومية في الكلام، اهدأ.

العشر الثاني: اندفاعك مجدي في هذه الأيام، وقد تكون أهدافك في متناول اليد، ومبادراتك مثمرة مع نتائج واضحة ملموسة)[1]، وتتضح من هذا المثال طريقة هؤلاء في التمويه في الكلام المجمل، وبالإضافة إلى ما ذكرنا، فإن أحكام بروجهم المزعومة متناقضة فيما بينها، ولعل نجومهم تدلي لكل منهم بحكم يختلف عن الحكم الذي تدلي به للآخر، فنجد المحرر في المجلة السابقة الذكر يذكر صفات مواليد برج الأسد من (٢٤ يوليو إلى ٢٣ أغسطس) وما سيحدث لهم في مستقبل أيامهم فيقول: (العشر الأول: أجواء قد تكون ملائمة على الصعيد الفكري أو الدراسي. مع سهولة في الابتكار أو الكتابة، قد تشعر بأن الظروف ليست مائة في المائة في صالحك، مما قد يسبب تأخيرًا في مشاريعك. العشر الثاني: جدي، العشر الثالث: على تيار عصبي مع نزعة خفيفة نحو خوص المعارك كلاميًّا)[2].

أما في مجلة الصياد، وفي نفس المواليد يقول المحرر: (حافظ على أسرار الناس، ولا تخن الأصدقاء، وتضعهم في موقف حرج، استمتع بكل لحظة حياتك هذا الأسبوع لأنها قد تبعدك عن الجو لفترة طويلة.

---

(١) مجلة (كل العرب) العدد (٣٧٠)، ص٦٩.

(٢) المصدر نفسه.

خطر يهدد حياتك العاطفية. لا تتردد في قول الحقيقة)[1].

ولا أدري كيف تتفق الأجواب الملائمة على الصعيد الفكري والدراسي مع وجود أخطار على الحياة العاطفية؟ أم كيف تتفق الجدية مع خيانة الأصدقاء وإفشاء أسرار الناس؟

ولو أردنا تتبع هذه الفجوات لوجدنا أن جدراهم كلها مهلهلة من كثرة الخروم والفجوات، ولطال بنا المقام، وهو لا يحتمل الإطالة، وما أشرنا إليه فيه كفاية عن ذكر أمور لا تخرج عن ذلك.

والذي يلفت الانتباه هنا أن هذه الطريقة التي توجد في الجرائد والمجلات هي طريقة الشيعة نفسها في سرد تنجيمهم، وإن صاغها محررو الجرائد والمجلات بأسلوب مبسط يوافق العصر الاضر، وإلا فالطريقة نفسها، ففي الكشكول ذكر المؤلف تحت عنوان سعد أيام الشهور ونحوستها، وفي اليوم الثاني من الشهر: (تزوج، وأت أهلك من السفر، واشتر وبع، واطلب في الحوائج، واتق فيه السلطان . .)[2]، ومثل هذا ذكر في بقية الأيام ما يبين أثر هذه الطائفة في التنجيم ـ كما أشرت إلى ذلك في الفصل الماضي ـ.

ومن دور وسائل الإعلام الغربية في نشر التنجيم أن الرائي البريطاني الرسمي (التلفزيون) أذاع في شهر المحرم من عام ١٤٠٦هـ برنامجًا كبيرًا عن أعمال السحر والشعوذة والطلاسم[3] في بريطانيا استغرق أمسية كاملة، عرض فيه حياة بعض هؤلاء المشعوذين، وتحدثوا عن مواهبهم

---

(١) مجلة الصياد العدد (٢٣٤١)، ص٧٦.

(٢) «الكشكول»: (١/ ٣٦١).

(٣) الطلسم: يقصدون به تمزيج القوى السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية لإحداث ما يخالف العادة، أو لمنع ما يوافق العادة. انظر: «النبوات» للرازي: ص٢١٣. =

وقدراتهم المزعومة في معرفة المستقبل والتأثير فيه[١].

الوسيلة الثانية: انتشار التنجيم عبر الكتب المؤلفة في هذا الفن، وتنتشر هذه الكتب في كثير من الدول الإسلامية وغيرها، مع وجود سهولة في بيعها وشرائها وتداولها، مما يجعل للخرافة أرضًا خصبة تنمو فيها وتثمر، ولا يستغرب إذا وجدت في هذه البلاد مكتبات ومطابع تتبنى طباعة ونشر مثل هذه الكتب، كمكتبة الجمهورية العربية بمصر، ومكتبة القاهرة، ومطبعة دار الطباعة المحمدية بمصر أيضًا، وكالمكتبة الحديثة، والمكتبة الأهلية للنشر والتوزيع في بيروت وغيرها. وهذه الكتب منها ما هو قديم: ككتاب بغية الطالب في معرفة الضمير للمطلوب والطالب والمغلوب والغالب[٢]، وكتاب مجموعة ابن سينا الكبرى، وكتاب شمس المعارف وكتاب منبع أصول الحكمة[٣] وغيرها.

ومنها ما هو مؤلف حديث، وهي كثيرة جدًّا، منها كتاب مفاتيح الحظ، وكتاب حظك معك[٤]، وكتاب أحكام الحكيم في علم التنجيم، ودليل الحيران في طالع الإنسان[٥]، وغيرها من الكتب.

كما [تصدر الآن بانتظام آلاف الكتب حول كيفية الاستفادة من التنجيم في مسائل المال والأعمال والسفر والزواج . .][٦].

---

(١) انظر: جريدة المسلمون، عدد (٣٣)، ص١.

(٢) تأليف أبي معشر الفلكي.

(٣) كلا الكتابين الأخيرين ألفهما أحمد البوني.

(٤) كلا الكتابين مؤلفهما أحمد الصباحي.

(٥) كلا الكتابين مؤلفهما عبد الفتاح الطوخي.

(٦) كتاب «حقائق وغرائب»: ص١٤٠.

الوسيلة الثانية: وجود معاهد تقوم بتعليم التنجيم، وإعطاء المتعلمين شهادات بذلك: تنتشر الآن في كثير من أنحاء العالم معاهد تتيح للباحث دراسات جادة في كيفية صناعة التنجيم، حتى إن جامعة هارفارد قبلت في عام ١٩٦٠م رسالة دكتوراة تقدم بها طالب في موضوع التنجيم، وأنشئت في بريطانيا كلية للدراسات التنجيمية[١].

كما أنشئ في مصر معهد للغرض نفسه، يسمى بمعهد الفتوح الفلكي العام لمصر والأقطار الشرقية، ويقوم المعهد بتدريس العلوم الفلكية الروحانية داخل المعهد وخارجه، ويتم تدريس الذين هم خارج المعهد عن طريق المراسلة، وذلك بإرسال برامج الدروس إلى عمله أو منزله أو بلده أو دولته، وتقع هذه الدروس في مائتين درس مشتملة على دراسة المسائل الشخصية والطوالع الميلادية، والأحوال الجوية، وتأثيرها على الأرض، والأحوال الزراعية، والتخرص بغلائها ورخصها، وكثرتها وقلتها في أي زمان ومكان، وغير ذلك من مسائل التنجيم، فإذا اجتاز الطالب هذه المراحل منح شهادة على ذلك[٢].

الوسيلة الرابعة: إنشاء اتحاد للمنجمين: أنشئ في العالم أكثر من اتحاد للمنجمين، ولكن أشهرها وأوسعها صيتًا هو الاتحاد العالمي للفلكيين الروحانيين في فرنسا، والذي يقوم على إدارته حميد الأزري[٣] كرئيس

---

(١) انظر: المصدر نفسه.

(٢) انظر: «أحكام الحكيم في علم التنجيم»: (١/ ٣٠)، و(٣/ ١٥٦)، و(٦/ ١٥٨).

(٣) نشأ في بغداد، ثم رحل إلى باريس، حيث أصبحح رئيسًا لهذا الاتحاد هناك، يبلغ من العمر الآن خمسًا وأربعين سنة تقريبًا، وما زال في منصبه. [مستفاد من مجلة الوطن العربي عدد (٤٩ ـ ٥٧٥)، ص٥٩، ومن جريدة المسلمون عدد (٣٦)، ص٨ ـ ٩].

لهذا الاتحاد، والألوسي[1] نائبًا عنه، ويضم هذا الاتحاد خمسة وخمسين ألف عضو لا يؤخذ منهم رسومًا للاشتراك، ويتردد عليهم أناس من طبقات مختلفة، ومن جنسيات متنوعة[2].

والشيء الذي يؤكد كذب هؤلاء وبطلان ادعاءاتهم أن الرئيس ونائبه عندما سئلوا عن مصدر هذا العلم صرح الرئيس بأنه إيحاء عن طريق الجن[3]، وصرح الآخر أنه أخذه عن طريق الوراثة[4]، ولم أسمع من قبل أن العلوم تنتقل عن طريق الوراثة إلا من هذا.

بل اعترف رئيس الاتحاد بأن ٩٩٪ من السحرة دجالون يريد به المنجم والعراف ونحوهم[5]، وبدون شك أنه يدخل نفسه ضمن النزر القليل الذي استثناهم من الدجالين، بل يعتبر نفسه أنه أفضلهم، فإذا أثبتنا أنه من ضمن الدجالين كملت النسبة. حيث إن أقواله اشتملت على تناقضات كثيرة مما يبين أ صناعتهم هذه قائمة على الكذب على الناس وإيهامهم أن النجوم هي التي دلت على هذه الأحكام، والنجوم بريئة من ذلك، فمثلاً

---

(١) أشهر الفلكيين الروحانيين في لندن، ونائب الأزري، يدعي أنه يعلم حقيقة الروح، وأنه يعلم الغيب، ومتى يموت كل إنسان، وأنه يؤمن بتناسخ الأرواح، وأن ما يحدث في هذا العالم من انفجارات وحروب واغتيالات إنما هو بسب لعنته عليهم، ويقيم الآن في جناح خاص بفندق انتركونتيننتال، أحد أشهر الفناد الإنجليزية، ورواده من الفنانين والمطربين والشخصيات العامة، ويرأس مجلة البلورة السحرية. انظر: جريدة المسلمون، عدد (٣٢)، ص١، ٧، وعدد (٣٦) ص١.

(٢) انظر: المصدر نفسه عدد (٣٦)، ص١، ٨.

(٣) انظر: المصدر السابق نفسه: ص٨ ـ ٩.

(٤) انظر: المصدر نفسه: عدد (٣٢)، ص٦.

(٥) انظر: المصدر نفسه: عدد (٣٦)، ص٨.

ذكر الأزري في موضع: (أن قراءة الأشياء هذه ـ يعني المغيبات ـ تعود إلى حسابات فلكية، وتعود إلى أمور تعلمناها بعون الله)[1]، وذكر في موضع آخر أن معرفته هذه كانت عن طريق الجن فقال: (عندما كان عمري خمس عشرة سنة، كنت أسير في أحد أزقة بغداد، وإذا بصوت يقول: قف يا حميد! ووقفت فلم أجد أحدًا . . فمشيت فإذا بالصوت يقول: يا حميد قف! ارتبكت . . وضعت جلبابي في فمي، وحاولت الجري، فوقفت قدماي تمامًا لمدة سبع ثوان، فإذا بماء يسقط!!

وفي يوم ثاني حدثت أمور ثانية. وكنت أنظر إلى شخص فأقول عنه إنه سيموت، وبالفعل يحدث ذلك، فخفت من ذلك، كنت أقول لنفسي: غدًا سيحدث كذا، فإذا به يحدث!

ثم بعد فترة . . قابلت شخصًا أشك أنه جني! وقال لي: ألا تعرف إنسانًا يعرف قراءة الكف؟ ثم أعاد السؤال. فقلت: أنا أعرف. فقال: تعال. وعندما أمسكت كفه رحت في حالة من الغيبوبة، فإذا بي أذكر له كل شيء عنه)[2]، والذي يدل على دجله أيضًا أنه ذكر كل شيء عنه وما زال يشك هل هو جني أم لا؟

أما الألوسي نائبه فهو أشد تناقضًا، وأكثر جرأة في الباطل، إذ إنه تارة يدعي معرفة مستقبل الدول من النجوم، وتارة يدعي أنه يغمض عينيه ويستطيع أن يخبر بكل ما سيحدث، وتارة يدعي أنه يستطيع أن يخبر بكل ما سيحدث عن طريق المراسلة من الشخص السائل[3]، وقد أتى بما

(١) انظر: المصدر نفسه.
(٢) المصدر السابق نفسه: ص٨، ٩.
(٣) انظر: المصدر نفسه: عدد (٣٢)، ص٦ ـ ٧.

لم تأت به الأوائل. فإذا كانت هذه أحوحححال رؤسائهم، فما بالك بمن تحتهم؟

الوسيلة الخامسة: الجهود الشخصية، وتتمثل في وجود منجمين دجالين يعملون لأنفسهم، دون أن تكون لهم مشاركة مع غيرهم من المنجمين، وهؤلاء ينتشرون تقريبًا في جميع أرجاء العالم إما متسترين أو ظاهرين بحسب محاربة الدولة لهم أو سكوتها عنهم، ويعلن هؤلاء عن أنفسهم في الجرائد والمجلات، ويقومون أحيانًا بالدعاية لأنفسهم في دليل الهاتف، وأحيانًا في محطات الحافلات، وقطار الأنفاق، وقد يوزعون منشورات تشرح الخدمات التي يقدمونها، ويزعمون فيها أنهم أفضل من منافسيهم، كما هو الحال في أمريكا والمغرب[(١)] ومصر وغيرها من البلدان[(٢)].

وبعض المشعوذين يستخدمون نساءً لهم في الأماكن العمومية: كالحمامات، والأسواق، والمستشفيات مقابل عمولة نقدية[(٣)].

الوسيلة السادسة: استخدام المبتكرات الحديثة كالحاسب الآلي (الكمبيوتر)، والبريد، ونحو ذلك.

وأول من استخدم الحاسب الآلي في حسابات التنجيم هي امرأة بريطانية من أصل يوناني تدعى كاتينا ثيودوسيو، وتعتبر هذه المرأة من أشهر المنجمات في بلدها، وهي متخصصة في مجال المال والأعمال، ولم تكتف بهذا الاستخدام للحاسب الآلي بل أكبت خلال خمسة عشر شهرًا على تغذية الذاكرة الإلكترونية بأربعين ألف معلومة مستقلة عن التنجيم،

---

(١) انظر: المصدر نفسه: عدد (٣٣)، ص٦ ـ ٧.

(٢) انظر: المجلة العربية: عدد (١٣٨)، ص٦٢.

(٣) جريدة المسلمون: عدد (٣٤)، ص٦.

لإنتاج أجهزة الحاسب الآلي تستعمل للتنجيم، يستطيع أن يستخدمها الجمهور بدون معرفة لحسابات التنجيم[1].

وأصبح لهذه الطريقة رواجٌ في السويد، حيث يوجد بعض المنجمين يستخدمون الحاسب الآلي، ويطلبون من الضحية أن يكتب اسمه وتاريخ وساعة ميلاده على بطاقة، ثم يضعون المعلومات التي في هذه البطاقة في الحاسب الآلي، فتخرج صحيفة بها الطالع في الأيام المقبلة أو لعدة سنوات. كما أن للبريد في بعض الدول دورًا في أخذ المعلومات إلى المنجم ومنه[2].

الوسيلة السابعة: استخدام بعض الدول للتنجيم في الأمور السياسية: كاستخدام المخابرات الأمريكية التنجيم في هذا الغرض، حيث نقلت جريدة المدينة عن مدير سابق لوكالة المخابرات الأمريكية المركزية الأمريكية، وهو مايلز كوبلند أنه ذكر (أن علم التنجيم والطوالع كان يقع ضمن اهتمامات الوكالة المركزية خلال الفترة التي عمل فيها بالوكالة في الستينات وقال في رسالة نشرتها له صحيفة التايمز البريطانية في عددها الصادر هنا أمس الأول في باب رسائل من القراء أن الوكالة كانت تنظم في عهده دورات منتظمة، وخاصة حول ما أسماه بفنون التنجيم الحديثة لتدريب عملائها في هذا المجال، وأضاف أن الوكالة المركزية قامت في السابق بزرع المتخرجين من هذه الدورات في قصور عدد كبير من زعماء العالم الثالث)[3].

---

(١) انظر: كتاب «حقائق وغرائب»: (ص١٤٠).

(٢) انظر: جريدة المسلمون: عدد (٣٣)، ص٧.

(٣) جريدة المدينة: عدد (٧٦٩٥).

ويجب التنبيه في هذا الموضع إلى كلمة درجت على ألسنة العوام في عصرنا الحاضر، وهي: (من حسن طالع كذا أن كان كذا)، وهذا بلا ريب أحد صور إسناد الأمور لمطالع النجوم، وله حكم مقالة أهل الجاهلية: (مطرنا بنوء كذا) الذي سيأتي بيانه في فصل حكم الاستسقاء بالنجوم إن شاء الله.

* **استمرار عبادة الكواكب إلى عصرنا الحاضر:**

أما عبّاد الكواكب فما زالوا على عقيدتهم القديمة من عبادة الكواكب والتقرب لها ونحو ذلك، وينتشر هؤلاء في بعض البلدان كالعراق وغيرها، ويطلق عليهم اسم الصابئة[1].

* * *

(١) انظر: «الصابئة الحرانيون» لحراني بهران ذويتا، و«مطاعيم صابئية مندائية» لناديا، و«دائرة المعارف الإسلامية»: (١٤/ ٩١).

الباب الثاني

أحكـــــام التنجـــــيم

ويشتمل على ستة فصول :

الفصل الأول : الحكمة من خلق النجوم.

الفصل الثاني : حكم الاستسقاء بالنجوم.

الفصل الثالث : حكم تعلم علم الفلك.

الفصل الرابع : الأدلة على فساد صناعة المنجمين، وأنها ظنون كاذبة.

الفصل الخامس : شبهات المنجمين والرد عليها.

الفصل السادس: حكم التنجيم.

الحكمة من خلق النجوم

خلق الله هذه النجوم لحكم سامية، أرشدنا الله تعالى إليها، ووردت هذه الحكم مجموعة فيما رواه البخاري تعليقًا أن قتادة قال: (﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾[١]، خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك[٢] أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به)[٣]، ومن هذا يتبين أن الحكم التي اتضحت لنا من خلق النجوم ثلاث، وهي:

١ ـ أن تكون زينة للسماء: وقد دلت نصوص القرآن الكريم على هذه الحكمة في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا[٤] وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾[٥]، أي: زينا السماء بالكواكب لمن نظر إليها وأبصرها[٦]، وقوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾[٧]، وقوله:

---

(١) سورة الملك، الآية: ٥.

(٢) أي: زعم فيها غير ما ذكر الله تعالى في هذه الثلاث، فادعى علم الغيب بها. انظر: «تيسير العزيز الحميد»: ص٤٤٣.

(٣) أخرجه البخاري: (٤/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥)، وأخرجه الطبري في «تفسيره»: (٢٩/ ٣)، وأخرجه الخطيب في «حكم علم النجوم»: (ق١٠أ).

(٤) البروج: وهي اثنا عشر برجًا: الحمل، الثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت. «تفسير القرطبي»: (١٠/ ٩).

(٥) سورة الحجر، الآية: ١٦.

(٦) «تفسير الطبري»: (١٤/ ١٤)، «تفسير ابن كثير»: (٢/ ٥٤٨).

(٧) سورة الصافات، الآية: ٦.

﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[1]، وقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾[3].

٢ ـ أن تكون رجومًا للشياطين: وقد دلت نصوص القرآن الكريم على هذه الحكمة أيضًا في قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ[4] فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾[5]، وقوله: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾[6]، وقوله: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[7]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ[8] وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعْتَدْنَا

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١٢.

(٢) سورة ق، الآية: ٦.

(٣) سورة الملك، الآية: ٥.

(٤) أي: أن يسمع الشيطان الخبر من أخبار السماء سوى الوحي فإن الوحي لا يسمع منه شيء لقوله تعالى: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾. انظر: «تفسير القرطبي»: (١٠/ ١١).

(٥) سورة الحجر، الآيات: ١٦ ـ ١٨.

(٦) سورة الصافات، الآيات: ٦ ـ ١٠.

(٧) سورة فصلت، الآية: ١٢.

(٨) هي الكواكب، والضمير في قوله: ﴿وجعلنا﴾ يعود إلى جنس المصابيح لا إلى عينها، لأنه لا يرمى بالكواكب التي في السماء، بل بشهب من دونها. انظر: «تفسير ابن كثير»: (٤/ ٣٩٦).

﴿لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾[1]، وقوله حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا﴾[2].

وبينها النبي ﷺ فيما رواه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار. فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: وُلد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: «**فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمرًا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضًا، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون**»[3].

٣ ـ أن تكون علامات يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر: وكذلك جعل الله تعالى هذه النجوم أدلة في البر والبحر للناس ليهتدوا بها إذا ضلوا

---

(١) سورة الملك، الآية: ٥.

(٢) سورة الجن، الآيتان: ٨ ـ ٩.

(٣) سبق تخريجه ص١١٠.

الطريق أو تحيروا فيه[1]، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2]، وقال: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[3].

هذه هي الحكم التي من أجلها خلقت النجوم، فمن الواجب أن تجعل النجوم فيما جعلت من أجله، لا يتجاوز بها ذلك، كما قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به)[4].

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري»: (٧/ ٢٨٦).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٦.

(٤) سبق تخريجه ص١٤٧.

حكم الاستسقاء بالأنواء[١]

منازل القمر ثمان وعشرون[٢] منزلة[٣]، قد أشار الله إليها بقوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[٤]، ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها[٥]، أما الشمس فتقطع كل منزلة في ثلاثة عشر يومًا تقريبًا إلا الجهبة فتقطعها في أربعة عشر يومًا[٦]، لذلك فإن سقوط كل نجم من هذه بعد ثلاثة عشر يومًا خلا الجهبة فسقوطها بعد أربعة عشر يومًا، حيث تنقضي السنة بانقضاء سقوط النجوم كلها[٧]، وما من نجم يسقط إلا ويطلع رقيبه في الوقت نفسه الذي يسقط فيه[٨]، فمن حين سقوطه إلى

---

(١) النوء: سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر، وطلوع رقيبه منم الشرق يقابله من ساعته. «الصحاح»: (١/ ٧٩).

(٢) وهي الشرطان، والبطين، والثريا، والدبران، والمقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرفة، والجهبة، والزبرة، والصرفة، والعواء، والسماك، والغفر، والزباني، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، والفرع المقدم، والفرع المؤخر، والحوت. انظر: «الأنواء في مواسم العرب»: ص١٦ ـ ١٨.

(٣) المنزلة: كناية عن الفضاء الذي بين الكواكب، لا أنها نفس الكواكب، وإنما الكواكب حدود لها. انظر: «سعود الطوالع»: (٢/ ١٠٠).

(٤) سورة يس، الآية: ٣٩.

(٥) «النهاية في غريب الحديث»: (٥/ ١٢٢)، و«تفسير القرطبي»: (١٥/ ٢٩).

(٦) «سعود الطوالع»: (٢/ ١٠٤).

(٧) انظر: «الأنواء في مواسم العرب»: ص٦ ـ ٧.

(٨) المصدر نفسه، «النهاية في غريب الحديث»: (٥/ ١٢٢).

سقوط التالي له هو نوءه، وذلك ثلاثة عشر أو أربعة عشر يومًا[1] ـ على ما بينته آنفًا ـ، فمثلاً إذا سقط الشرطان طلع الإكليل في ساعته فمن حين سقوط الشرطان إلى سقوط الإكليل هو نوء الشرطان . . . وهكذا في بقية المنازل.

وقد كانت العرب تدعي نسبة ما يحدث في هذه المدة من مطر أو ريح أو برد أو حر إلى النجم الساقط، وقيل: إلى الطالع[2]، وكل منزلة من المنازل التي ذكرتها آنفًا لها نوء، ولكنها تختلف عندهم، فبعضها أحمد وأغزر، كنوء الثريا، ويجعلونها إناثًا، وذوات نتاج، ويجعلون ما لا نتاج له ذكرًا، ومنحوسًا[3]، فعلى هذا يكون نسبة المطر إلى النوء ينقسم إلى قسمين[4]:

القسم الأول: نسبة الفعل للكوكب، وادعاء أنه هو الذي ينشئ السحاب، ويأتي بالمطر[5]، وهذا اعتقاد باطل، إذ إن من اعتقد أن هذه الأنواء فاعلة للمطر من دون الله فهو كافر، ومن اعتقد أنها فاعلة له وحدها بما جعل الله فيها من القدرة على ذلك ثم تركها فهو كافر أيضًا، لأن الخلق والأمر من الله وحده[6]، كما قال تعالى:

---

(١) انظر: «الأنواء في مواسم العرب»: (ص٩).

(٢) انظر: «الأنواء في مواسم العرب»: ص٧، ٩، و«النهاية في غريب الحديث»: (٥/ ١٢٢)، و«شرح النووي على صحيح مسلم»: (٢/ ٦١).

(٣) انظر: «الأنواء في مواسم العرب»: ص٧، ١٥ ـ ١٦.

(٤) المصدر نفسه: ص١٣.

(٥) انظر: المصدر نفسه: ص١٤، و«شرح النووي على صحيح مسلم»: (٢/ ٦٠)، و«شرح الزرقاني على الموطأ»: (١/ ٣٨٩).

(٦) انظر: «القبس»: (١/ ق٤٥أ).

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[1]، وهذا ما عليه إجماع المسلمين[2].

القسم الثاني: اعتقاد أن المطر من عند الله، مع نسبته إلى النوء والوقت: فهذا من إضافة إنعام الله إلى غيره، وهذا من جنس قول الناس: كانت الرياح طيبة، والملاح حاذقًا إذا نجوا بالسفينة إلى البر. فنسب هؤلاء حسن جريان السفينة إلى طيب الريح وحذق الملاح وسياسته، ونسوا الله تعالى، هذا ما كان عليه أهل الجاهلية، وهو محرم[3]، وقد دلت الأدلة على تحريمه، منها:

قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[4]، فهذه الآية نزلت في الذين يقولون: مطرنا بنوء كذا، ولا ينسبونه إلى الله تعالى، ودل على هذا ما رواه الإمام مسلم رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**أصبح من الناس شاكر ومنهم وكافر**». قالوا: هذه رحمة الله. قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾»[5].

ومعنى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: شكركم لله على رزقه، ومعنى ﴿أَنَّكُمْ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) انظر: «كتاب الأم»: (١/ ٢٢٣)، و«أحكام القرآن» لابن العربي: (٣/ ١١٥٠)، و«القبس»: (١/ ق٤٥أ)، و«تفسير القرطبي»: (١٧/ ٢٢٩)، و«شرح النووي على صحيح مسلم»: (٢/ ٦٠).

(٣) انظر: «المبدع شرح المقنع»: (٢/ ٢١٢)، و«تيسير العزيز الحميد»: ص٤٥١، ٥٨٥.

(٤) سورة الواقعة، الآية: ٨٢.

(٥) الحديث أخرجه مسلم: (١/ ٦٠)، والآيات (٧٥ ـ ٨٢) من سورة الواقعة.

﴿تُكَذِّبُونَ﴾ أي: بنعمة الله بقولكم سقينا بنوء كذا[1].

وما رواه الشيخان رحمهما الله وغيرهما عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس، فقال: **هل تدرون ماذا قال ربكم؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وؤما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بين مؤمن بالكوكب**»[2]، وما رواه مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر**»[3]، وما رواه مسلم أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ألم تروا إلى ما قال ربكم قال: ما أنعمت على عبادي من نعمة ألا أصبح فريق منهم با كافر يقولون الكواكب، وبالكواكب**»[3]، وما رواه مسلم أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث، فيقولون الكوكل كذا وكذا**»[4]، وما رواه مسلم أيضًا وغيره عن أبي مالك الأشعري[5] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أربع في أمتي من**

---

(١) «تفسير الطبري»: (٢٧/ ٢٠٨)، و«تفسير القرطبي»: (١٧/ ٢٢٩).

(٢) سبق تخريجه: ص١٠٩.

(٣) أخرجه مسلم: (٧/ ٣٢)، كتاب السلام.

(٤) أخرجه مسلم: (١/ ٥٩)، كتاب الإيمان.

(٥) اختلف في اسمه، قيل: اسمه الحارث بن الحارث، وقيل: عبيد، وقيل: عبيد الله، وقيل: عمر، وقيل: كعب بن عاصم، وقيل: كعب بن كعب، وقيل: عامر بن =

أمر الجاهلية لا يتركونهن: **الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**»[١]، وما رواه الإمام أحمد بن حنبل عن معاوية الليثي[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون الناس مجدبين فينزل الله تبارك وتعالى عليهم رزقًا من رزقه فيصبحون مشركين**»، فقيل له: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «**يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا**»[٣].

وما أخرجه أحمد والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عز وجل ليبيت القوم بالنعمة، ثم يصبحون وأكثرهم كافرون يقولون مطرنا بنجم كذا وكذا**»[٤].

وما رواه الطبراني[٥] وغيره عن أبي أمامة[٦] قال: قال رسول الله

= الحارث، له صحبة. انظر: «الاستيعاب»: (٤/ ١٧٤٥)، و«تهذيب التهذيب»: (١٢/ ٢١٨)، و«الإصابة»: (٤/ ١٧١).

(١) أخرجه مسلم: (٣/ ٤٥)، كتاب الجنائز.

(٢) صحابي. انظر: «الاستيعاب»: (٣/ ١٤٢٥)، و«الإصابة»: (٣/ ٤٣٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٣/ ٤٢٩). قال الهيثمي: (رجاله موثقون). «مجمع الزوائد»: (٢/ ٢١٢). وقال البوصيري: (سنده حسن). «المطالب العالية»: (١/ ١٨٣).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢/ ٥٢٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى»: (٣/ ٣٥٩). قال الذهبي فيه: حسن غريب. «المهذب»: (٣/ ٣٣٢). وقال أحمد البنا: (سنده عند البيهقي صحيح، لأن محمد بن إسحاق صرح عنده بالتحديث). «الفتح الرباني»: (١٦/ ١٣٧).

(٥) هو سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي، أبو القاسم، من كبار المحدثين، صاحب المعاجم الثلاثة، توفي سنة ستين وثلاثمائة. انظر: «سير أعلام النبلاء»: (١٦/ ١١٩)، و«البداية والنهاية»: (١١/ ٢٨٧).

(٦) هو أبو أمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي المدني الفقيه، اسمه أسعد باسم =

ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي في آخر زمانها النجوم، وتكذيب بالقدر، وحيف[1] السلطان**»[2].

وما رواه أبو يعلى[3] رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ من المدينة، فالتفت إليها فقال: «**إن الله قد برأ هذه الجزيرة من الشرك، ولكن أخاف أن تضلهم النجوم**» قالوا: يا رسول الله كيف تضلهم النجوم؟ قال: «**ينزل الغيث فيقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا**»[4]. فهذه الأدلة كلها تبين أن من نسب المطر إلى

= جده لأمه أسعد بن زرارة، صحابي جليل، توفي سنة مائة. انظر: «الكنى والأسماء» للإمام مسلم: (١/ ١٠٣)، و«البداية والنهاية»: (٩/ ١٨٩)، و«تهذيب التهذيب»: (١/ ٢٦٣)، و«الإصابة»: (٤/ ٩).

(١) الحيف: الجور والظلم. «الصحاح»: (٤/ ١٣٤٦).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» كما ذكر الهيثمي، وبحثت عنه فلم أجده، وأبو يعلى في «المسند»: (٧/ ١٦٢). وقال الهيثمي: (فيه ليث بن أبي سليم، وهو لين، وبقية رجاله وثقوا). «مجمع الزوائد»: (٧/ ١٦٢). وقال المناوي»: (أشار بتعدد طرقه إلى تقويته). «فيض القدير»: (١/ ٢٠٤). وقال الشيخ محمد حجازي الشعراني: (إسناده حسن). انظر: «السراج المنير»: (١/ ٦٨). وقال الألباني: (الحديث له شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة في نقدي). «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (٣/ ١١٩).

(٣) هو الإمام أبو يعلى أحمد بن علي بن المثمنى التميمي الموصلي، محدث الموصل، وصاحب المسند والمعجم، توفي سنة سبع وثلاثمائة. انظر: «سير أعلام النبلاء»: (١٤/ ١٨٤)، و«العبر»: (١/ ٤٥١)، و«البداية والنهاية»: (١١/ ١٤٠).

(٤) أخرجه أبو يعلى في «مسنده»: (١٢/ ٧٠، ٧٧)، والخطيب في «حكم علم النجوم»: (ق٦/ ب)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم»: (٢/ ٣٩). قال الهيثمي: (فيه قيس ابن الربيع وثقه شعبة والثوري، وضعفه الناس، وبقية رجاله ثقات). «مجمع الزوائد»: (٥/ ١١٦)، وقال في موضع آخر: (إسناد أبي يعلى حسن). «مجمع =

الأنواء والنجوم فقد وقع في الشرك الخفي، وذم النبي ﷺ لهذا المعتقد يدل على أنه لا عمل للنوء في السحاب والرياح والمطر[١].

وورود الشرع بالمنع من هذه الكلمة دال على التحريم[٢].

ولأنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره، فيساء الظن بصاحبها.

ولأنها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم[٣].

ولأن في التحريم سدًّا لباب الشرك وحماية لجناب التوحيد[٤].

أما جعل الأنواء علامة على المطر مع عدم نسبته إليه لا قولاً ولا اعتقادًا: فقد استدل العلماء على جوازه بأدلة[٥] هي:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٦]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾[٧]، وما في معناها من الآيات، وبما رواه مالك والطبراني عن عائشة رضي الله عنها

= الزوائد»: (٨/ ١١٤). قال الأعظمي: (أخرج أبو يعلى هذا الحديث بإسنادين يشد كل واحد منهما الآخر). انظر: «المطالب العالية»: (١/ ١٨٤).

(١) انظر: «الأنواء في مواسم العرب»: (ص١٥).

(٢) «المنتقى» للباجي: (١/ ٣٣٥).

(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم»: (٢/ ٦٠).

(٤) انظر: «تيسير العزيز الحميد»: ص٤٥٥.

(٥) انظر: «الأم»: (١/ ٢٢٣)، رسالة «حكم علم النجوم»: (ق٧أ)، «أحكام القرآن» لابن العربي: (٣/ ١١٥٠).

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

(٧) سورة الفرقان، الآية: ٤٨.

قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فهي عين غديقة**»[1]، قالوا: دلت الآيات السابقة والحديث على جواز جعل الرياح علامة على المطر بحسب ما جرت عليه العادة، وكذلك الأنواء يجوز جعلها علامة على ما جرت به العادة، بشرط أن يعتقد أن النوء لا تأثير له في نزول المطرم، ولا هو فاعل، وأن المنفرد بإنزاله هوالله وحده[2].

وبما رواه البيهقي والطبري بسنديهما وغيرهما عن سعيد بن المسميب قال: (قد حدثني من لا أتهم أنه شهد المصلى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقي بالناس عام الرمادة، قال فدعا والناس طويلاً، واستسقى طويلاً، وقال للعباس بن عبد المطلب: يا عباس كم بقي من نوء الثريا؟ فقال له العباس رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين إن أهل العلم بها يزعمون أنها تعترض بالأفق بعد وقوعها سبعًا. قال: فوالله ما مضت تلك السبع حتى أغيث الناس)[3].

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ»: ص١٥٧. قال الهيثمي: (فيه الواقدي، وفي الواقدي كلام، وقد وثقه غير واحد، وبقية رجاله لا بأس بهم، وقد وثقوا). انظر: «مجمع الزوائد»: (٢/ ٢١٧). وقال ابن الصلاح: (رواه ابن أبي الدنيا، وليس إسناده بذاك لمكان محمد بن عمرو، الظاهر أنه الواقدي)، وقال ابن عبد البر: (إن الشافعي رواه عن إبراهيم بن أبي يحيى، وهو متروك الحديث). انظر: «رسالة في وصل البلاغات الأربع»: ص١١.

(٢) انظر: «المنتقى» للباجي: (١/ ٣٣٥).

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»: (٣/ ٣٥٩)، والطبري في «تفسيره»: (٢٧/ ٢٠٨). قال الذهبي: (حسن غريب). «المهذب»: (٣/ ٣٣٢). قلت: رواية الطبري فيها عنعنة ابن إسحاق، وأما رواية البيهقي فقد سبق كلام أحمد البنا عليها، وإرسال سعيد بن المسيب لا يضر، إذ له حكم المتصل.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنما أراد ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ بقوله: كم بقي من وقت الثريا، ليعرفهم بأن الله عز وجل قدر الأمطار في أوقات فيما جربوا، كما علموا أنه قدر الحر والبر بما جربوا في أوقات)[١]. ومثل هذا ما رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» عن ابن عباس رضي الله عنهما في رجل قال لامرأته: أمرك بيدك. فقالت: أنت طالق ثلاثًا. فقال ابن عباس: (خطأ الله نوءها، لو قالت: أنا طالق ثلاثًا لكان كما قالت)[٢].

فقد أراد بالنوء الذي يجيء فيه المطر[٣]، أي أخلى الله نوءها من المطر، ويكون المعنى، حرمها الله الخير كما حرم من لم يمطر وقت المطر[٤].

ونسبة المطر إلى المنخفضات الجوية القادمة من مناطق معينة ـ كما هو معروف اليوم ـ له الحكم نفسه.

أما ما رواه مالك أنه بلغه أن أبا هريرة كان يقول إذا أصبح وقد مطر الناس: (مطرنا بنوء الفتح، ثم يتلو هذه الآية: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾)[٥].

وما رواه البيهقي بسنده عن الشعبي قال: (خرج عمر بن الخطاب

---

(١) انظر: كتاب «الأم»م: (١/ ٢٢٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»: (٥/ ٥٧ ـ ٥٨).
قلت: سنده صحيح.

(٣) «النهاية في غريب الحديث»: (٥/ ١٢٢).

(٤) «الأنواء في مواسم العرب»: ص١٣ ـ ١٤.

(٥) أخرجه مالك في «الموطأ»: ص١٥٧، والآية (٢) من سورة فاطر.

رضي الله عنه يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء الذي يستنزل به المطر، ثم قرأ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[1]، ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾[2].

فليس في كلام هذين الصحابيين نسبة المطر إلى النجوم، بل ورد كلامهما على سبيل المضادة لقول أهل الإلحاد وإبطال مذهبهم في الأنواء، وبيان كذبهم فيه مع إرشادهم إلى الطريق الصحيح وهو فتح الله تعالى الرحمة للناس على قول أبي هريرة، والتوجه إلى الله بكثرة الاستغفار على قول عمر رضي الله عنهما[3].

* * *

(١) سورة نوح، الآيتان: ١٠ ـ ١١.

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»: (٣/ ٣٥٢)، والآية (٥٢) من سورة هود.

(٣) انظر: «غريب الحديث» للهروي: (٣/ ٢٥٩ ـ ٢٦١)، و«المنتقى» للباجي: (١/ ٣٣٥).

حكم تعلم علم الفلك

علم الفلك هو علم مداره الأجرام العلوية، أي الشمس والقمر والكواكب السيارة والكواكب الثابتة وتوابعها ونحو ذلك، وهو قسمان نظري وعملي، فالأول يصف تلك الأجرام، ويعين لنا أبعادها عن الشمس وحركاتها وفصولها السنوية، وهيآتها، والثاني يبحث عن كيفية رصد تلك الأجرام[1].

أما حكم تعلم هذا العلم فقد اتفق الفقهاء على اعتبار النجوم من الدلائل التي تدل على جهة القبلة عند خفائها، وعلى أنها من أقوى الأدلة على ذلك، وعلى ضرورة أن يتعلمها المسافر[2] مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[3].

واتفقوا أيضًا على أن المواقيت تؤخذ من الأهلة، وأنها هي المعتبرة في مواقيت الناس ومواقيت العبادات[4]، كما أن الشمس دليل على أوقات الصلوات[5].

---

(١) انظر: «دائرة معارف القرن العشرين»: (٧/ ٤٨١).

(٢) انظر: «الفروع» لأحمد بن حنبل: (١/ ٢٨١)، و«روضة الطالبين»: (١/ ٢١٧)، و«المجموع»: (٣/ ١٨٧)، و«كفاية الأخيار»: (١/ ٥٩)، و«المبدع»: (١/ ٤٠٦)، و«الإنصاف» للمرادي: (٢/ ١٢، ١٣)، و«رسالة القواعد والضوابط للأعمال الفلكية»: (ق٢أ).

(٣) سورة النحل، الآية: ١٦.

(٤) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (٢٥/ ١٣٢ ـ ١٣٣).

(٥) انظر: «الفروع» للقرافي: (٤/ ٢٥٨)، و«تهذيب الفروع والقواعد السنية»: (٤/ ٢٨٥). =

كما ذهب العلماء إلى أن ما يمكن معرفته عن طريق الحس أو المشاهدة أو الحساب أو نحو ذلك يجوز تعلمه كالعلم بأسماء الكواكب، ومناظرها، ومطالعها، ومساقطها، ومعرفة بُعد الكواكب عن الأرض، ومقدار ما تقطعه الكواكب في أفلاكها، ومعرفة منازل القمر، والبروج الاثنى عشر، ودرجات الفلك ونحو ذلك(١)، واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

قوله الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٢)، وقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٣)، وقوله: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٤)، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي

---

(١) انظر: «معالم السنن»: (٥/ ٣٧٢)، و«الفصل في الملل والأهواء والنحل»: (٥/ ١٤٨)، و«حكم علم النجوم»: (ق٢أ)، و«شرح السنة»: (١٢/ ١٨٣)، و«رسالة القواعد والضوابط للأعمال الفلكية»: (ق١أ).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

(٤) سورة الأنعام، الآيتان: ٩٦ ـ ٩٧.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾[5]، وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾[6]، وقوله: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾[7]، وغيرها من الآيات.

وما رواه البيهقي والخطيب البغدادي رحمهما الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**أحب عباد الله إلى الله رعاء[8] الشمس والقمر الذين يحببون عباد الله إلى الله ويحببون الله إلى**

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ٥ ـ ٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢.

(٣) سورة النحل، الآيتان: ١٥ ـ ١٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٢.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٢٥.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٤٥.

(٧) سورة الرحمن، الآيات: ٣ ـ ٥.

(٨) أصل الرعاة حفاظ الماشية، وتطلق على الأمير والحاكم لقيامهم بتدبير الناس، والمراد بهم هنا المؤذنون، لأنهم يراعون طلوع الفجر والشمس وزوالها ونحو ذلك. انظر: «فيض القدير»: (٥/ ٣١٣).

عباده»[1].

وما رواه مالك والخطيب البغدادي رحمهما الله عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة**»[2].

وما أخرجه أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[3]: (هي ثمانية وعشرين منزلاً ينزلها القمر في كل شهر أربعة عشر منها شامية، وأربعة عشر منها يمانية ...)[4]، وإجماع السلف على القول باستدارة الفلك[5].

أما تعلم ما زاد على ما يحتاجه الإنسان مما لا يحتاجه فقد كرهه بعض العلماء كابن رجب الحنبلي، وغيره، كما كره قتادة تعلم منازل القمر،

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»: (١/ ٣٧٩)، والخطيب في «حكم علم النجوم»: (ق٢/ب). وضعفه ابن المنذر، وذكر له طريقًا آخر عن أبي أوفى رواه الطبراني والبزار والحاكم وقال فيه ابن المنذر: (تفرد به ابن عيينة عن مسعر، وحدث به غيره، وهو حديث غريب صحيح). «الترغيب والترهيب»: (١/ ١٥٠). وقال الهيثمي فيه: (رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه جنادة بن مروان، قال الذهبي: اتهمه أبو حاتم). «مجمع الزوائد»: (١/ ٣٢٦). وقال المناوي: (فيه الوليد بن مروان، أورده الذهبي في «الضعفاء»، وقال: مجهول، وجنادة بن مروان ضعفه أبو حاتم واتهمه في الحديث، والحارث بن نعمان، قال البخاري: منكر الحديث). «فيض القدير»: (٥/ ٣١٣). وضعفه الألباني أيضًا. انظر: «ضعيف الجامع الصغير»: (٤٧٩٧).

(٢) سبق تخريجه والحكم عليه: ص١٥٧.

(٣) سورة يس، الآية: ٣٩.

(٤) أخرجه الخطيب في «حكم علم النجوم»: (ق ٣/ أ).

(٥) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (٦/ ٥٨٦).

وأنكر الإمام أحمد الاستدلال بالجدي على القبلة، وقال: «إنما ورد ما بين المشرق والمغرب القبلة»، وأنكر ابن مسعود على من قال: إن الفلك يدور، كما أنكر الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ على المنجمين قولهم: إن الزوال يختلف في البلدان[1].

وهذه الأقوال وما في معناها محمولة على أمرين:

الأمر الأول: على تعلم ما لا فائدة فيه في عصرهم. والاشتغال بما لا فائدة فيه لا شك في كراهته لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[2].

الأمر الثاني: يحمل نهيهم هذا على أنهم لمسوا ممن تكلم في ذلك أنه أراد أن يبني على قوله هذا الشبهات، أو أراد التشكيك في قبلة المسلمين، أو نحو ذلك فأنكروا عليه، ومن كان بهذه الصفة لا بد من الإنكار عليه[3].

وأما الاستدلال بقول عمر رضي الله عنه: (تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبر ثم انتهوا)[4] على عدم جواز تعلم ما زاد على الاهتداء فلا يصح، إذ إن هذا الأثر ضعيف، لو صح لم يكن فيه حجة لأن المراد النهي عن علم التأثير لا التسيير[5].

---

(١) انظر: «فضل علم السلف على علم الخلف»: ص١٣٢ ـ ١٣٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٣.

(٣) انظر: فضل علم السلف على علم الخلف: ص١٣٤ ـ ١٣٥.

(٤) أخرجه الخطيب في «حكم علم النجوم»: (ق ٢/ب). قال المناوي: (قال عبد الحق: وليس إسناده مما يحتج به، وقال ابن القطان: فيه من لا أعرفه). «فيض القدير»: (٣/ ٢٥٦). وقال الألباني: ضعيف. «ضعيف الجامع الصغير»: (٢٤٥٥).

(٥) انظر: «فيض القدير»: (٣/ ٢٥٦).

أما إذا لمست مصلحة في تعلم شيء من ذلك، فلا بأس في تعلمه، بشرط أن لا يتعارض مع تعلم ما هو أوجب منه، وأن يسخر هذا العلم في طاعة الله بناءً على ما دلت عليه الأدلة السابقة[1].

أما بالنسبة لصحة هذا العلم وفساده فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما تشهد الأدلة النقلية على صحته، مثل دوران الشمس والقمر في الفلك، وأن لكل منهما فلكًا يجري فيه، كما قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[2]، وكالقول بأن الأفلاك مستديرة لانعقاد الإجماع عليه[3] ونحو ذلك، فهذا لا شك في صحته، ويجب الإيمان به لدلالة الكتاب والسنة والإجماع عليه، إذ إن المسائل المنصوص عليها بكتاب أو سنة أو إجماع تعتبر من جملة المسائل الشرعية التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يحيدون عنها، حتى وإن خالفها جميع الفلكيين.

القسم الثاني: ما كان مخالفًا لنصوص الكتاب أو السنة أو الإجماع، مثل القول بأن الشمس ثابتة لا تتحرك ونحو هذا، فهذا لا شك في فساده.

---

(١) دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقىٰ . . .﴾، فذكر التقوىٰ بعد ذكر الجواب عن فائدة الأهلة. وقوله في سورة يونس، الآيتان: ٥ ـ ٦ بعد أن ذكر تقدير الله منازل القمر بالحساب: ﴿لآيات لقوم يتقون﴾، ولو تتبعنا بقية الآيات لوجدناها دالة على ذلك. وانظر: ص١٦١ ـ ١٦٢.

(٢) سورة يس، الآية: ٤٠.

(٣) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (٦/ ٥٨٦).

القسم الثالث: ما لم يكن في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ، ولا في شواهد العيان ما يدل على قبوله، أو رده، فهذا لا يحكم بصحته ولا بفساده، بل يكون موقوفًا فيه، حتى يوجد من الأدلة العلمية ما يقتضي صحته أو فساده[1].

وأما ما ذهب إليه بعض العلماء في العصر الحاضر إذ إن معرفة مقادير أجرام هذه الكواكب، وأبعادها، ومواردها، وغير ذلك غير ممكنة، فيكون القول في هذه الأمور من تعاطي علم الغيب فهو خطأ، واستدلالة على ذلك هو أن من ادعى ذلك أضعف وأعجز من أن يتوصل إلى اكتشاف ما في السماء الدنيا، وهو مسيرة خمسمائة عام، وقوله: إن النصوص قد دلت على أن الشمس والقمر والكواكب في السماء منها: قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[2]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾[3]، ثم قال: في الآيات وما في معناها نص على أن الشمس والقمر في السماء، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة**»[4]،

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى المصرية»: (١/ ٣٢٢). و«الأدلة النقلية والحسية على إمكان الصعود إلى الكواكب»: ص٤٣، ٧٤.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦١.

(٣) سورة الحجر، الآية: ١٦.

(٤) أخرجه الترمذي: (رقم ٢٥٤٠)، وأحمد في «مسنده»: (٣/ ٧٥)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد. «سنن الترمذي»: (٤/ ٥٨٦). وقال فيه عبد القادر أرناؤوط: (رواه الترمذي وغيره من حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، ودراج عن أبي الهيثم ضعيف). انظر: «جامع الأصول»: (٢/ ٣٧٣).

وإذا كان بين السماء والأرض هذا البعد الشاسع فالتوصل بالأرصاد والمناظير إلى اكتشاف ما في السماء غير ممكن(١).

ويناقش هذا الاستدلال بما يلي:

أولاً: ليس في الآيات المذكورة ما يدل على أن الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب في داخل السماء، أو أنها ملصقة بها، وإنما تدل الآيات على أن هذه الكواكب في السماء، وأنها زينة لها، ولفظ السماء يطلق ويراد به ما علا وارتفع، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٢)، فالمراد بالسماء هنا: السحاب وسمي بذلك لعلوه وارتفاعه(٣).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(٤)، فالمراد بقوله: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي في العلو(٥).

وقال: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴾(٦)، أي فليمدد بسبب إلى

---

(١) انظر: «ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق»: ص٤٦ ـ ٤٨.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢١ ـ ٢٢.

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير»: (١/ ٥٧).

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

(٥) انظر: «تفسير القرطبي»: (٩/ ٣٥٩).

(٦) سورة الحج، الآية: ١٥.

ما فوقه من سقف ونحوه، فسماه سماءًا لعلوه بالنسبة إلى ما تحته[١]، فإذا عرف هذا كان معنى الآيات التي استدل بها محمولاً على أحد معنيين:

الأول: أن الله سبحانه جعل هذه الكواكب في مدار بين السماء والأرض، وسماه سماءً لعلوه، وليس في الأدلة ما يمنع ذلك.

وقد ذكر الله سبحانه أن الشمس والقمر يجريان في فلك في آيتين من كتابه الكريم، وهما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٢]، وقوله: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٣]، ولو كانا ملصقين في السماء لم يوصفا بالسبح، كما قال ابن عباس وغيره: «يدورون كما يدور المغزل في الفلكة»[٤]، وقال النسفي[٥]: الجمهور على أن الفلك موج مكفوف[٦] تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم[٧].

المعنى الثاني: أنه أراد بالسماء في الآيات المتقدمة السماء الدنيا كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ﴾[٨]،

---

(١) «تفسير الطبري»: (١٧/ ١٢٥).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٣.

(٣) سورة يس، الآية: ٤٠.

(٤) سميت بذلك لاستدارتها، والفلكة قطعة من الأرض أو الرمل تستدير وترتفع على ما حولها. انظر: «الصحاح»: (٤/ ١٦٠٤).

(٥) هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، ففيه حنفي، مفسر، توفي سنة إحدى وسبعمائة، وقيل: عشرة وسبعمائة. انظر: «كشف الظنون»: (١٦٤٠)، «الأعلام»: (٤/ ٦٧).

(٦) يراد أن الفلك أشرج على ما فيه وقفل. انظر: «لسان العرب»: (٩/ ٣٠٤).

(٧) «تفسير النسفي»: (٣/ ٣٣٤).

(٨) سورة الحجر، الآية: ١٦.

ولم يرد سبحانه أن البروج في داخلها، وإنما أراد سبحانه أنها بقربها وتنسب إليها، وأما وصفه سبحانه للكواكب بأنها زينة للسماء فلا يلزم منه أن تكون ملتصقة بها، ولا دليل على ذلك، بل يصح أن تسمى زينة لها وإن كانت منفصلة عنها، وبينها فضاء كما يزين الإنسان سقفه بالقماش والثريات الكهربائية ونحو ذلك، من غير ضرورة إلى إلصاق ذلك به[1].

ومما يدل على إمكان الصعود إلى الكواكب ـ فضلاً عن إمكان اكتشاف ما فيها بالأرصاد والمناظير ـ قوله تعالى فيما أخبر عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[2]، فإن كان الجن قد أمكنهم الصعود إلى السماء حتى لمسوها، وقعدوا منها مقاعد، فكيف يستحيل ذلك على الإنسان، وخصوصًا في هذا العصر الذي تطور فيه الاختراع[3].

ومن هذا يتبين أن القول بعدم إمكان معرفة علم الفلك قول لا يصح، بل إن معرفة ذلك ممكن شرعًا واقع حسًّا . . . والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «الأدلة النقلية والعقلية والحسية إلى إمكان الصعود إلى الكواكب»: ص٨ ـ ١١.

(٢) سورة الجن، الآيتان: ٨ ـ ٩.

(٣) انظر: «الأدلة النقلية والعقلية والحسية إلى إمكان الصعود إلى الكواكب»: ص١٣.

الأدلة على فساد صناعتهم، وأنها ظنون كاذبة

إن كل سبيل يطلب فيه الإنسان معرفة الغيب وكل دعوىٰ يزعم فيها الإنسان أنه يشارك الله فيما استأثر به لنفسه لا بد وأن يعتمد على التمويهات والخداع التي يتقبلها عادة السذج من الناس. فإذا اقتنعوا بها نمقوها وزخرفوها، وزادوا وأنقصوا، وجادلوا وماروا فيكونون بهذا دعاة للباطل، وباعة للكذب والبهتان. فالمنجمونُ ودعاتهم من جنس هؤلاء. فقد سموا ظنونهم الكاذبة علمًا، وتمويهاتهم وخداعهم أصلاً، وكذبهم وبهتانهم حكمًا. وسأستعرض هنا ـ إن شاء الله ـ الأدلة على فساد صناعتهم. وسأبين أنهم يعتمدون على مجرد الظنون الكاذبة مما يدل على أن هذا العلم المزعوم لا حقيقة له، وأنه ليس بعلم، بل هو كلام جعله هؤلاء على هيئة قوانين تهيئ الناس لقبول باطلهم، وسأقسم الأدلة التي تبين فساد صناعتهم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الأدلة على فساد اعتقادهم بأن هذه الكواكب آلهة، أو أن لها تصرفًا في هذا الكون.

القسم الثاني: الأدلة على اعتقادهم أن لهذه الكواكب تأثيرًا في هذا الكون.

القسم الثالث: الأدلة على فساد أحكام النجوم المزعومة، والتي تبين أن هذه الأحكام ظنون كاذبة.

القسم الأول: الأدلة على فساد اعتقادهم بأن هذه الكواكب آلهة، أو أن لها تصرفًا في هذا الكون: والأدلة على ذلك من المنقول والمعقول، فمن

المنقول الأدلة من القرآن الدالة على انفراد الله بالخلق والتدبير، وقد سبق أن ذكرتها في المبحث الأول في التمهيد وهي أدلة أيضًا على فساد اعتقاد هؤلاء أن الأفلاك آلهة، أو أن لها تصرفًا في هذا الكون. وأضيف إلى تلك الأدلة أدلة أخرى تدل على فساد هذا المعتقد نفسه وهي:

الآيات الدالة على أن الكواكب مسخرة مدبرة، تجري بمقدار معين، وعلى منهاج مقنن جعله الله لها لا تستطيع الخروج عنه، وأنها لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًّا، فضلاً عن أن تملك ذلك لغيرها، ومن كان هذا حاله يستحيل أن يكون إلهًا. أو أن يكون له تصرف في الكون.

قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2]، وقال: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾[4]،

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٩

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٣. والقطمير: لفافة النواة. «تفسير البيضاوي»: (ص٥٧٦)، و«لسان العرب»: (١٠٨/٥).

(٤) سورة الحج، الآية: ١٨.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إنما ذكر الشمس والقمر على التنصيص لأنها قد عبدت من دون الله. فبين أنها تسجد لخالقها، وأنها مربوبة مسخرة)[2].

أما الأدلة من المعقول فهي كما يلي:

الدليل الأول: إن القول بصدور الحوادث الأرضية من الكواكب كالإحياء والإماتة والرزق ونحو ذلك يقتضي أن تكون هذه الكواكب مؤثرة بذاتها وطبعها، وهذا يتطلب منها أن تكون مختارة مريدة، وهذا منتفي لما يأتي:

أولاً: لو أن هذه الكواكب مختارة مريدة لجرت الأحكام على وفق إرادتها، ولم تتوقف هذه الأحكام على اتصالاتها وانفصالاتها وهبوطها وارتفاعها، ولاختلفت أحكامها أيضًا بحسب اختلاف الدواعي. كما هو حال المختار المريد[3].

ثانيًا: أن هذه الكواكب لو كانت مختارة مريدة لما بقيت حركتها أبدًا على سير أحد لا يتبدل، إذ إن هذه صفة الجماد المدبَّر الذي لا اختيار له[4].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٧.

(٢) «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٢١١).

(٣) انظر: «مفتاح دار السعادة«؛ (٢/ ١٢٩).

(٤) انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل»: (٥/ ١٤٧)، وذكرها أبو معشر في «أسرار النجوم». انظر: «فرج المهموم»: ص٨٢.

الدليل الثاني: أن هذه الكواكب لو كانت آلهة مصرفة لهذا الكون ـ كما يزعمون ـ لكانت مستقلة بإحداث شيء من الحوادث الأرضية، واعتقادهم يخالف هذا، إذ إنهم يعتقدون أن حركة الفلك التاسع جزء السبب، وحركة كل فلك جزء السبب فتكون هذه الحوادث ناتجة عن مجموع حركات الأفلاك ـ على حسب زعمهم[1] ـ وهذا يناقض أن تكون واجبة الوجود، أو أن تكون آلهة، إذ إن المشتركين في المفعول الواحد لا يمكن أن يكون كل واحد منهم قادرًا عليه بانفراده وإلا لاستقل به، وهذا يدل على عجزه وقصوره وعدم مقدرته على إكمال نفسه، ومن كان متصفًا بهذه الأوصاف لا يمكن أن يكون واجب الوجود: إذ إن من صفات واجب الوجود الغنى المطلق، ولو كان هذه ا لأفلاك متصفة بهذه الصفة لم تفتقر إلى غيرها في فعلها، فافتقارها إلى غيرها بوجه من الوجوه دليل عدم غناها[2].

ثالثًا: لو فرضنا أن لتدبير الكواكب شيئًا من الحركات والحوادث الأرضية لكان الصادر عنها الحركة العرضية على نسق حركتها، أما بقية الحركات فلا تكون صادرة عنها، ومن باب أولى لا يكون صادرًا عنها الأجسام نفسها وقواها وصفاتها، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، ويعلم بذلك أن المتصرف في الكون المشهود والموجود له رب غيرها هو الذي أبدعها وصورها وحركها على الحركات المختلفة، وبهذا يتبين بطلان ربوبية هذه الكواكب[3].

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (٨/ ١٧٠ ـ ١٧١).

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه: (٢٠/ ١٨٠ ـ ١٨١).

(٣) انظر: المصدر نفسه: (٨/ ١٧٣).

رابعًا: لو سلم أن هذه الكواكب هي المدبرة لهذا الكون لكان تدبيرها حال ظهورها فقط، أما حال أفولها فينقطع تصرفها بالكلية، وهذا ينافي ربوبيتها، إذ إن الرب الذي يكون متصرفًا لهذا الكون يجب أن يكون قيومًا يقيم هذا الكون في جميع الأوقات وفي جميع الأحوال، كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾[1]، لذا أشار الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ عند محاجته لقومه إلى هذا المعنى بقوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾[2].

القسم الثاني: الأدلة على فساد اعتقادهم أن لهذه الكواكب تأثيرًا في هذا الكون، والأدلة على ذلك من المنقول والمعقول، فمن المنقول الأحاديث التي تدل على إبطال تأثير الكواكب في الحوادث الأرضية، منها ما أخرجه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم، فقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي**»[3]، وما رواه مسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم. فقال رسول

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.
(٢) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (٨/ ١٧٣)، والآية (٧٦) من سورة الأنعام.
(٣) سبق تخريجه: ص١٠٣.

الله ﷺ: «**فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته . .**»[١]. وما رواه الإمام مسلم رحمه الله عن أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**»[٢]. فذم النبي ﷺ لهؤلاء يدل على أنه لا تأثير للكواكب ولا للأنواء في حوادث العالم السفلي[٣].

أما الأدلة من المعقول فتتبين من خمسة أوجه:

الوجه الأول: أن معرفة تأثير الكواكب في هذا الكون يكون بأحد أربعة طرق: إما الخبر الصادق الصحيح من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ وهذا غير موجود، بل دلت الأدلة على انتفاء وجوده، والنهي عن اعتقاده.

وإما الحس فيشترك الناس في إدراكه وهذا منتفي وغير موجود، وإما ضرورة العقل أو نظره وهذا غير موجود أيضًا[٤] وإما التجربة ـ وهذا ما يدعونه[٥] ـ ويشترط في صحة التجربة أن تكون بتكرر موثوق بدوامه تضطر النفوس إلى الإقرار به، وهذا لا يمكن في القضاء بالنجوم لأن النصب الدالة على الكائنات ـ عندهم ـ لا تعود في الدرجة والدقيقة نفسها إلا بعد آلاف السنين كما ذكر ذلك البيروني[٦] فقال: (إن الكواكب الثابتة

---

(١) سبق تخريجه: ص١١٠.

(٢) سبق تخريجه: ص١٠٩.

(٣) انظر: «الأنواء في مواسم العرب»: ص١٥.

(٤) انظر: «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٣١).

(٥) انظر: «رسالة في الأحكام على تحاويل سني العالم» لابن أبي الشكر: (ق ١/ أ).

(٦) هو محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي، فيلسوف، رياضي، مؤرخ، =

تقطع كل واحد من منازل القمر في ستمائة سنة)[1]، وعلى هذا لا يعود إلى موضعه إلا بعد ستة عشر ألف وثمانمائة سنة، وكما قال إخوان الصفا أيضًا: (واعلم أن الكائنات التي يستدل عليها المنجمون سبعة أنواع: منها الملل والدول التي يستدل بها من القرانات الكبار، التي تكون في ألف سنة بالتقريب مرة واحدة . .)[2]. وتجري تأثير الكواكب في مثل هذا الوقت لا يمكن قطعًا، ومن هذا يتضح أن دعوى تأثير الكواكب في هذا الكون دعوى وهمية لا تقوم على دليل أو برهان[3].

الوجه الثاني: ادعاؤهم أن لهذه الكواكب تأثيرًا في الكون بالسعادة والنحوسة، وأن لها تأثيرًا في حصول الأحوال النفسية من ذكاء وبلادة ونحو ذلك، وأن هذا التأثير من جنس تأثير الشمس والقمر في الحرارة والبرودة واليبوسة والحرارة وغير ذلك[4] ادعاء باطل لا يستقيم، وذلك لأن هذا القياس فاسد، وذلك لوجود الفرق بين المقيس والمقيس عليه، إذ إننا لا ننازع في تأثير الشمس والقمر في هذا العالم على ما يجري على الأمر الطبيعي بما جعله الله فيها من مميزات، كتأثير الشمس في الرطوبة والبرودة والحرارة ونحو ذلك، وتأثيرها في أبدان الحيوانات والنباتات والناس في نشاطهم وخمولهم مونحو ذلك، ومع هذا فإن هذه الكواكب

= منجم، توفي سنة أربعين وأربعمائة. انظر: «حكماء الإسلام»: ص٧٢، و«عيون الأنباء»: ص٤٥٩.

(١) «القانون المسعودي» للبيروني: (٣/ ٩٩٠).

(٢) «رسائل إخوان الصفا»: (١/ ١٥٤).

(٣) انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل»: (٥/ ١٤٩).

(٤) انظر: «رسائل إخوان الصفا»: (١/ ١٤٦).

جزء من السبب المؤثر، وليست بمؤثر تام، فإن تأثير الشمس مثلاً إنما كان بواسطة الهواء، وقبوله للسخونة والحرارة، ويختلف هذا القبول عند قرب الشمس من الأرض وبعدها . . وهكذا. فكل واحد من هذه جزء السبب مع وجود أشياء أخرى مكملة للسبب. وقد يقدر الله تعالى أمورًا أخرى تمنع هذه الأسباب ليظهر عليها أثر القهر والتسخير، فإثبات مثل هذه التأثيرات لا ينكر، أما الذي ينكر عليهم فهو دعوى أن جملة الحوادث في العالم من الأرزاق والآجال والسعادة والنحوسة وجميع ما في العالم تقع لكون الكواكب هي المؤثرة فيه ومن تحتها خاضع لها، وهذا يختلف عن ذلك[1].

ثم إن النوع الأول قد دل عليه الشرع والعقل والحس بخلاف النوع الثاني لم يدل عليه شيء من ذلك، بل يناقضه كما أشرت إلى ذلك في الوجه الأول.

الوجه الثالث: لو سلمنا ـ جدلاً ـ أن للكواكب تأثيرًا بالسعد والنحس ـ كما يزعمون ـ فإنه لا يمكن معرفة هذا التأثير إلا بالنظر إليها ومعرفة طبائعها مفردة ومجتمعة، فإذا لم يفعل ذلك المنجم لا يمكن له حصوله العلم بهذا التأثير[2]، وهذا لا يستطيع الإحاطة به منجم، بل ولا أي مخلوق مما يجعل معرفة هذا التأثير مستحيلاً، ويجعل هذه الصناعة مستحيلة الوجود ويحكم على أحكام الأولين والآخرين بالبطلان، وذلك لأربعة أمور هي:

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٦٠ ـ ١٦٦).

(٢) انظر: المصدر نفسه: (٢/ ١٢٨).

الأمر الأول: أنه لا سبيل إلى معرفة طبائع البروج وطبائع الكواكب وامتزاجاتها إلا بالتجربة. وأقل ما لا بد منه في التجربة أن يحصل ذلك الشيء على حالة مرتين فأكثر، إلا أن الكواكب لا يمكن تحصيل ذلك فيها لأنه إذا حصل كوكب معين في موضع معين في الفلك وكانت سائر الكواكب متصلة به على وضع مخصوص وشكل مخصوص فإن ذلك الوضع المعين بحسب الدرجة والدقيقة لا يعود إلا بعد آلاف السنين، وعمر الإنسان لا يفي بذلك، فثبت أنه لا يمكن الوصول إلى هذه الأحوال عن طريق التجربة[1] ـ كما سبق الإشارة إلى هذا المعنى في الوجه الأول ـ.

الأمر الثاني: من المعلوم أن في فلك البروج كواكب لم يعرفها المنجمون إلا في العصر الحاضر، فلعل وقوع نجم من هذه النجوم المجهولة في ذلك العصر على درجة الطالع يوجب أثرًا ما لا يوجبه بدونها[2]، ومن هذه الكواكب التي لم تكتشف إلا في العصر الحاضر (مذنب هالي) الذي سماه المنجمون الكوكب الآثاري[3]، وكوب (أورانوس) الذي اكتشف سنة ١٧٨١م[4]، وغيرها كثير لم يتوصلوا إليه حتى اليوم، إذ إن نجوم السماء كثيرة جدًّا، حتى إن بعض الفلكيين صور كثرتها بقوله: (إن عدد النجوم يزيد على عدد حبات الرمل على شواطئ جميع بحار الدنيا)[5]، وهذا الوصف وإن كان فيه شيء من المبالغة إلا أنه

---

(١) المصدر السابق نفسه: (٢/ ١٣٤).

(٢) انظر: «النبوات» للرازي: ص٢١٨، و«مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٢٨ ـ ١٢٩).

(٣) انظر: «قراءة الأبراج والطوالع والحظوظ»: ص٢٥.

(٤) انظر: مجلة الأزهر: عدد (٢)، ص١٣٤، مقال العقاد.

(٥) «كل شيء عن النجوم»: ص٩٣.

يبين كثرة النجوم في السماء، فإن كانوا عاجزين عن اكتشاف هذه النجوم فعجزهم عن إدراك طبائعها وتأثيراتها أولى وأحرى، فإن قالوا: لو حصلت هذه الكواكب الصغيرة لم تكن لها قوة وتأثير أصلاً، لأجل أن صغرها يوجب ضعفها، قيل لهم: هذا باطل، لأن عطارد مع غاية صغره تقاربه سائر الكواكب السيارة مع عظم أجرامها، بل الرأس والذنب نقطتان[١]، وأصحاب الأحكام أثبتوا لهما آثارًا عظيمة، بل سهم السعادة وسهم الغيب نقطتان وهميتان[٢]، والمنجمون أثبتوا لها آثارًا قوية[٣]، فإن جعلوا لهذه آثارًا فمن باب أولى بقية النجوم على حسب منهجهم.

الأمر الثالث: أننا نفترض ـ جدلاً ـ أنهم عرفوا طبائع الكواكب حال بساطتها، لكن من المسلم به وما شهد به كبراؤهم أنه لا يمكن معرفة طبائعها وآثارها حال امتزاج بعضها ببعض، وذلك لأن الامتزاج الحاصل من ألف كوكب أو يزيد يستحيل على العقل ضبطه[٤]. فقد نقل أبو حيان التوحيدي[٥] عن بعض كبرائهم أنه قال: (وقد يغفل ـ مع هذا كله ـ

(١) هما نقطتان وهميتان تحدثان عند تقاطع مدار القمر مع دائرة البروج عند حدوث الكسوف تسمى إحدهما: الرأس، والأخرى الذنب. انظر: «رسائل إخوان الصفا»: (١/ ١٢١ ـ ١٢٢).

(٢) يعدها المنجمون من سهام الكواكب السبعة، ويطلقون على الأول سهم القمر، وعلى الثاني سهم الشمس. انظر: «التفهيم»: ص٢٨٣.

(٣) انظر: «النبوات» للرازي: ص٢١٧ ـ ٢١٨.

(٤) انظر: «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٢٨).

(٥) هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي، أبو حيان، فيلسوف، متصوف، معتزلي، نعته ياقوت الحموي: بشيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء. توفي سنة أربعمائة. انظر: «ميزان الاعتدال»: (٤/ ٥١٨)، و«لسان الميزان»: (٧/ ٣٨ـ ٤١)، و«الأعلام»: (٤/ ٣٢٦). =

المنجم اعتبار حركات كثيرة من أجرام مختلفة، لأنه يعجز عن نظمها وتقويمها ومزجها وتسييرها، وتفسير أحوالها، وتحصيل خواصها، مع بُعْد حركة بعضها، وبطئها وسرعتها، والتفاف صورها، والتباس مقاطعها، وتداخل أشكالها، ومن الحكمة في هذا الإغفال أن الله تقدس اسمه يتميز بذلك القدر المغفل، والقليل الذي لا يؤبه له، والكثير الذي لا يحاول البحث عنه أمرًا لم يكن في حساب الخلق)[١].

الأمر الرابع: نفترض ـ جدلاً كذلك ـ أنهم استطاعوا معرفة طبيعة الامتزاجات الحاصلة في وقتهم، لكن من الممتنع عليهم معرفة الامتزاجات السالفة، فربما كان لها أثر في هذه الحوادث كالامتزاجات الحاصلة في وقتهم الذي يدعونه[٢].

الوجه الرابع: من الأصول التي بنى عليها المنجمون تأثير الكواكب قائمًا على علاقة المشابهة بين أسماء البروج وما يوافقها من عالم الكون والفساد، بمعنى أنهم جعلوا تأثير الحيوانات السفلية بما يقابلها من الصور العلوية، فبرج العقرب ـ مثلاً ـ يؤثر في العقارب . . . وهكذا كما قال بطليموس[٣]: (الصور الموجودة في عالم التركيب مطيعة للصور الفلكية، إذ هي في ذاتها على تلك الصور، فليست تلك الصور وهمية،

---

(١) «المقابسات»: ص١٢٧، وقد جعلوا الله منفردًا بهذا النزر القليل فقط، وهذا من تأليهم على الله ـ تعالى الله عما يقولن ـ.

(٢) انظر: «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٢١).

(٣) ملك بن الإسكندر، وكان حريصًا على الفلسفة، مولعًا بها، جمع بين علوم عدة منها: التنجيم والجغرافية والتاريخ والفلسفة والطب وغيرها، وألف فيها. «طبقات الأطباء والحكماء»: ص٣٥، و«الفهرست» لابن النديم: ص٣٧٤.

وإلا لم يكن لها أثر في أمثالها من العالم السفلي)[١] موافقًا بقوله هذا سلفه من المشركين من قوم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ[٢].

وكما قال ابن أبي الشكر المغربي: (أما الجنس الذي يؤثر فيه الكسوف فهو من جوهر البروج الذي يقع فيه الكسوف، إن وقع في البروج الناطقة كان الحادث في الإنسان، وإن كان في ذوات الأظلاف كان الحادث في الغنم والبقر، وإن كان في البروج المائية كان الحادث في حيوان الماء، وإن كان برج الأسد كان الحادث في السباع وأشباهها، وإن كان في البروج الأرضية كان الحادث في نبات الأرض)[٣]. وهذا الأصل فاسد، ويتبين فساده بأمرين هما:

الأمر الأول: أن المتقدمين لما قسموا الفلك إلى اثني عشر قسمًا أرادوا أن يميزوا بعضها عن بعض فشبهوا كل قسم من هذه الأقسام بصورة معينة، ولكن هذا الشبه لم يحدث علاقة بين هذه النجوم وما يقابلها من الكائنات الأرضية[٤] بإقرار أئمتهم على ذلك. فمن أئمتهم القائلين بهذا أبو الحسين عبد الرحمن الصوفي[٥]، والبيروني[٦]، وابن طاوس[٧]،

---

(١) «سعود المطالع»: (٢/ ١٠٧).

(٢) انظر: «السر المكتوم»: (ق ١٧٦/ أ).

(٣) «رسالة في الأحكام على تحاويل سني العالم»: (ق ٣٣/ أ).

(٤) «مفتا دار السعادة»: (٢/ ١٢٩).

(٥) هو عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سهل الصوفي، أبو الحسين الرازي، صاحب الملك عضد الدولة، فارسي النسبة، توفي سنة ست وسبعين وثلثمائة. «تاريخ الحكماء»: ص٢٢٦، و«الأعلام»: (٣/ ٣١٩).

(٦) انظر: «التفهيم»: ص٢٦٣.

(٧) انظر: «فرج المهموم»: ص٦٤ ـ ٦٥.

وغيرهم. قال عبد الرحمن الصوفي: (أن تسمية البروج الاثني عشر بالحمل والثور والجوزاء . . . إلى آخرها لا أصل له ولا حقيقة. وإنما وضعها الراصدون لهم متعارفًا بينهم، وكذلك جميع الصور التي عن جنبي منطقة البروج الاثني عشر وغيرها، والجميع ثمان وأربعون صورة عندهم مشهورة، وعلماؤهم معترفون بأن ترتيب هذه الصور وتشبيهها وقسمة الكواكب عليها وتسميتها صنعه متقدموهم ووضعه حذاقهم الراصدون لها)(١).

الأمر الثاني: أنهم جعلوا تأثير الكواكب قائمًا على المشابهة بين صور البروج وصورة المأثر فيه. وهذا ليس سببًا كافيًا للقول بالتأثير، بل ولا يدل مطلقًا على تأثير الكواكب بالسعادة والنحوسة فيما يقابلها ـ هذا إن صحت المشابهة ـ.

الوجه الخامس: الأصول التي بنى عليها المنجمون تأثير الكواكب في العالم السفلي أيضًا أنهم جعلوا لكل كوكب طبعًا يختلف عن طبع الكوكب الآخر، وجعلوا تأثيرها في العالم بحسب طبعها، فجعلوا طبع زحل البرد واليبس بإفراط وتأثيره بحسب طبعه، وطبع المشتري الحر والرطوبة باعتدال، وطبع المريخ الحر واليبس بإفراط، وطبع الشمس الحر واليبس بمقدار أقل مما للمريخ، وطبع الزهرة البرد والرطوبة باعتدال . . .(٢). واستدلوا على اختلاف طبائع الكواكب باختلاف ألوانها فقالوا: زحل لونه

---

(١) ذكره الصوفي في كتاب «صور الكواكب الثمانية والأربعين»، نقلاً عن «فرج المهموم»: ص٦٤ ـ ٦٥.

(٢) انظر: «رسائل إخوان الصفا»: (١/ ١٢٤ ـ ١٢٥)، و«التفهيم في أوائل صناعة التنجيم»: ص٢٣١ ـ ٢٣٢.

الغبرة والكمودة، فطبعه البرد واليبس، والمريخ يشبه لونه لون النار فطبعه حار يابس، وكذلك الزهرية فإن لونها كالمركب من البياض والصفرة، والبياض يدل على طبيعة البلغم وهو البرد والرطوبة، والصفرة تدل على الحرارة، ولما كان بياضها أكثر من صفرتها حكمنا بأن بردها ورطوبتها أكثر . . . وهكذا[١] وهذا الأصل ظاهر البطلان، ويتبين ذلك بأربعة أمور هي:

الأمر الأول: أن البرودة والحرارة واليبس والرطوبة صفات للعناصر التي دون فلك القمر، وليس شيء من هذه الصفات في الأجرام العلوية، لأنها خارجة عن محل حوامل هذه الصفات[٢].

الأمر الثاني: أن المشاركة في بعض الصفات لا تقتضي المشاركة في الماهية والطبيعة.

الأمر الثالث: أن الدلالة بمجرد اللون على طبيعة شيء ما أمر باطل، إذ إن النورة والنشادر وغيرها في غاية البياض مع أن طبائعها في غاية الحرارة.

الأمر الرابع: أن بعض كبرائهم لما علم فساد هذا القول وتكذيب العقل له أنكر ذلك[٣].

القسم الثالث: الأدلة على فساد أحكام النجوم المزعومة. والتي تبين أن هذه الأحكام ظنون كاذبة، والأدلة على ذلك من المنقول والمعقول. فن المنقول ما يأتي:

---

(١) رسالة عيسى بن علي التي نقلها ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٥٩ ـ ١٦٠).

(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل»: (٥/ ١٤٩). هذا ما ذكره والعهدة عليه.

(٣) رسالة عيسى بن علي التي نقلها ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٦٠).

أولاً: الآيات الدالة على أن الله هو المنفرد بعلم الغيب. وأن هذا المنجم لا يعلم شيئًا من الغيب، وكذا الكواكب لا تعلم شيئًا من الغيب. ولم يجعلها الله دالة على شيء من الغيب. وقد سبق ذكرها في المبحث الأول في التمهيد.

ثانيًا: الأحاديث والآثار التي تدل على إبطال أحكام النجوم، والتي تبين أنها ظنون كاذبة منها:

ما رواه الشيخان رحمهما الله عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رسول الله ﷺ ناس عن الكهان. فقال: «**ليس بشيء**». فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثونا أحيانًا بشيء فيكون حقًّا. فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق يحفظها من الجني فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة**»[1]. فالإخبار عن الأمور الغيبية التي يخبرها بها المنجمون، ويسمونها أحكام النجوم، هي من جنس أخبار الكهان التي حكم عليها النبي ﷺ بأنها ليست بشيء. لهذا علم بالتجربة والتواتر أن الأحكام التي يحكم بها المنجمون يكون الكذب فيها أضعاف الصدق[2].

وما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قيل له لما أراد لقاء الخوارج: «أتلقاهم والقمر في العقرب؟! فقال رضي الله عنه: فأين قمرهم؟ وكان ذلك في آخر الشهر»[3]. قال القرطبي[4] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (انظر إلى

---

(١) أخرجه البخاري: (٧/ ٢٤٩)، كتاب الطب، ومسلم: (٧/ ٣٦)، كتاب السلام.

(٢) انظر: «مجموعة الفتاوى المصرية»: (١/ ٣٢٧).

(٣) «تفسير القرطبي»: (١٩/ ٢٨ ـ ٢٩).

(٤) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي. أبو عبد الله القرطبي من كبار المفسرين، كان ورعًا متعبدًا. توفي سنة إحدى وسبعين وستمائة. =

هذه الكلمة التي أجاب بها وما فيها من المبالغة في الرد على من يقول بالتنجيم، والإفحام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم)[1].

وما أخرجه الخطيب البغدادي عن قتادة أنه قال: «إن الله تعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها نهتدي بها، وجعلها رجومًا للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد أخطأ حظه، وقال برأيه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. وإن ناسًا جهلة بأمر الله تعالى قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة، من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من النجوم نجم إلا يولد به الطويل والقصير، والأحمر والأبيض، والحسن والذميم، قال: وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب، وقضى الله أنه: ﴿لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون﴾، ولعمري لو أن أحدًا علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله تعالى بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه الجنة فأكل منها رغدًا حيث شاء، ونهاه عن شجرة واحدة. فما زال به البلاء حتى وقع بما نهي عنه، ولو كان أحد يعلم الغيب لعلمه الجن حين مات نبي الله سليمان عليه السلام، فلبث الجن يعملون له حولاً في أشد العذاب، وأشد الهوان، لا يشعرون بموته، وما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته، فلما خر تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين. قال: قد كانت تقول قبل ذلك: إنا نعلم. فابتلاهم الله تعالى، وجعل موت

= انظر: «الديباج المذهب»: (٢/ ٣٠٨)، و«هدية العارفين»: (٢/ ١٢٩).

(١) «تفسير القرطبي»: (١٩/ ٢٩).

سليمان للجن والإنس عبرة[1].

ثالثًا: أن هذه الصناعة تصرف الناس عن الالتجاء إلى الله، والتوجه إليه، وطلب الاستخارة منه إلى الالتجاء إلى النجوم وطلب الاستخارة منها، وهذا المسلك مبتدع، ومخالف لما أمر النبي ﷺ فيا رواه البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن، «**إذا هم أحدكم فليركع ركعتين، ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإن تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري**، أو قال: **في عاجل أمري وآجله فاقدره لي، وإن كنت تعلم إن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي، وعاقبة أمري** أو قال: **في عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمي حاجته**»[2]، وما كان مخالفًا لطريق النبي ﷺ فهو مردود لما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»[3]، وما كان كذلك فلا شك في فساده، لذلك لما لقي سفيان الثوري[4] ما شاء الله اليهودي

---

(١) سبق تخريجه: ص١٤٧.

(٢) أخرجه البخاري: (٨/ ١٤٦)، كتاب الدعوات.

(٣) أخرجه البخاري: (٤/ ٢١)، كتاب الصلح، ومسلم: (٥/ ١٣٢)، كتاب الأقضية.

(٤) هو سفيان بن سعد بن مسروق، أبو عبد الله، الثوري، الكوفي، عالم، إمام، حافظ، مجتهد، توفي سنة إحدى وستين ومائة. انظر: «المعارف»: ص٤٩٧، و«سير أعلام النبلاء»: (٧/ ٢٢٩). =

قال له: «أنت تخاف زحل، وأنا أخاف رب زحل، وأنت ترجو المشترى، وأنا أرجو رب المشترى، وأنت تغدو بالاستشارة، وأنا أغدو بالاستخارة، فكم بيننا؟ فقال له ما شاء الله: كثير بيننا، حالك أرجى، وأمرك أنجح وأحجى»[(١)]، وما رواه الخطيب البغدادي عن أبي محمد الباقي[(٢)] أنه قيل له: «إن منجمًا لقي رجلاً مسلمًا فقال له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت أرجو الله وأخافه، وأصبحت ترجو المشترى وتخاف زحل، فنظمه الباقي شعرًا وأنشدناه:

أصبحت لا أرجو ولا أخشى سوى ... الجبار في الدنيا ويوم المحشر
وأراك تخشى ما يقدر أنه ... يأتي به زحل وترجو المشترى
شتان ما بيني وبينك فالتزم ... طرق النجاة وخل طرق المنكر[(٣)]

وأما الأدلة على فساد صناعتهم، وعلى أنهم ظنون كاذبة من المعقول فهي كثرة، نذكر أهمها في ثلاثة عشر وجهًا:

الوجه الأول: اعتراف كثير من زعمائهم بأن هذه الصناعة تقوم على الخرص والتوهم، وأنَّها لا تفيد العلم البتة، كما صرح بذلك بطليموس وأرسطاطاليس[(٤)]، فقال أرسطاطاليس: (لما كان حال العلم واليقين في

---

(١) «المقابسات»: ص١٢٣.

(٢) هو عبد الله بن محمد الباقي الخوارزمي، أبو محمد، شاعر، فقيه، غزير العلم، بفقه الشافعية، توفي سنة ثمان وتسعين وثلثمائة. انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة: (١/ ١٥٩)، و«الأعلام»: (٤/ ١٤١).

(٣) «حكم علم النجوم»: (ق ١٥/ ب).

(٤) انظر: «مفتا دار السعادة»: (٢/ ١٧٥)، وأرسطاطاليس هو ابن نيقوماخس الفيثاغوري، ويطلق عليه أرسطو اختصارًا، تتلمذ على أفلاطون، وإليه انتهت فلسفة اليونانيين، وهو سيد علمائهم، وفيلسوف الروم، وعالمها، وخطيبها، وطبيبها، كان=

جميع السبل التي لها مبادئ أو أسباب أو استقصاءات إنما يلزم من قبل المعرفة بهذه، فإذا لم تعرف الكواكب على أي وجه تفعل هذه الأفاعيل أعني بذاتها أو بطريق العرض، ولم تعرف ماهيتها، وذواتها لم تكن معرفتنا بالشيء أنه يفعل على جهة اليقين)[1]، وكقول ثابت بن قرة: (وأما علم القضاء من النجوم فقد اختلف فيه أهله اختلافًا شديدًا، وخرج فيه قوم إلى ادعاء ما لا يصح ولا يصدق بما لا اتصال له بالأمور الطبيعية، حتى ادعوا في ذلك ما هو من علم الغيب، ومع هذا فلم يوجد منه إلى زماننا هذا قريب من التمام كما وجد غيره)[2]، وقول أبي نصر الفارابي: (واعلم أنك لو قبلت أوضاع المنجمين فجعلت السعد نحسًا، والنحس سعدًا، والحار باردًا، والبار حارًّا، والذكر أنثى، والأنثى ذكرًا، ثم حكمت لكانت أحكامك من جنس أحامهم تصيب تارة وتخطئ تارة)[3].

وقال أيضًا: (من ظن أن هذه التجارب عليها وجدت دلائل هذه الكواكب وشهادتها، فليعملها إلى سائر ما وضع وليقلبها ثم ليحكم بها مقلوبًا في المواليد والمسائل والتحاويل، فإن وجد بعضها يصح، وبعضا لا يصح، على ما عليه حال ما وضع على ما وضع، فليعلم أن ذلك ظن

= وزير الإسكندر المقدوني الكافر، وكان يعبد الأصنام، وهو مؤسس المدرسة المشائية. انظر: «طبقات الأطباء والحكماء»: ص٢٥، و«تاريخ الحكماء»: ص٢٧، و«عيون الأنباء»: ص٨٦، و«إغاثة اللهفان»: (٢/ ٢٦٠).

(١) نقل ذلك ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٧٥) عن كتاب «السماع الطبيعي».

(٢) نقل ذلك ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٧٥) عن كتاب «ترتيب العلوم».

(٣) «مجموعة الفتاوى المصرية»: (١/ ٣٣٢)، و«مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٧٥).

وحسبان واستحسان)[١]، وما ذكره يعقوب بن إسحاق الكندي مما أراد أن يقيم به للمنجمين عذرًا لأغلاطهم، فحط من أقدارهم، فقال ما ملخصه: إن علماء الهند أحذق الناس في علم التنجيم، فأرادوا أن يعلموه أبناءهم، فعجزوا لغموضه، فأجمع علماؤهم على أن يختصروا منه جزءًا حتى تدركه أفهام أبنائهم، ففعلوا، وعلموهم جزءًا من ألف جزء من علمهم، فتقبله أبناؤهم، وتعلموه، فلما نشأ أبناؤهم أرادوا تعليمهم هذا العلم كما علمهم آباؤهم ذلك من قبل، فعجزوا عن ذلك، فاختصروه، فصار جزءًا من ألف جزء مما علمهم آباؤهم، ففهمه أبناؤهم وأدركته أذهانهم، ثم قال الكندي: (فما ظنك بعلم اختصر منه جزء من ألف جزء ما يبقى منه الإصابة؟)[٢]، وهذا القول وإن أورده الكندي عذرًا للمنجمين عن كثرة أغلاطهم، وإلا أن فيه دليلاً على اختلال هذا العلم، وعدم إدراك الإصابة فيه، وأن صدق المنجم فيما وجد منه ـ على حسب قوله ـ مرة في كل ألف ألف مرة[٣].

وقول أبي معشر[٤]: (كل الأعراض الغائبة توهم لا يكون شيء منها يقينًا، وإنما يكون توهم أقوى من توهم . . ومن تأمل أحوال القوم علم

(١) «كتاب في إبطال حكم النجوم» للفارابي: (ق٢٩٨).

(٢) انظر: «حكم علم النجوم»: (ق١٤/ب) ـ (ق١٥/أ).

(٣) انظر: المصدر نفسه: (ق١٥/أ).

(٤) هو جعفر بن محمد بن عمر البلخي، أبو معشر، أستاذ عصره في صناعة التنجيم، أصله من بلخ من خراسان، توفي سنة اثنتين وسبعين ومائتين. «الفهرست» لابن النديم: ص٣٨٦ ـ ٣٨٧، و«تاريخ الحكماء»: (ص١٥٢، و«وفيات الأعيان»: (١/٣٥٨ ـ ٣٥٩).

أن ما معهم إلا زرق وتفرس يصيبون معها ويخطئون)(1)، وقول يحيى بن محمد بن أبي الشكر شرحًا على كتاب الإسطرلاب قال: (إنني قد أسهبت وطولت، وذكرت شيئًا من الأحكام لم يقع عليها برهان إلا بالتجربة، وحاكي الكفر ليس بكافر، فلا ينسبنا من قرأ هذا الجزء، وكان له غرض في الشريعة إلى التخلف)(2)، وما ذكره ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن المنجمين بقوله: (إني خاطبتهم بدمشق، وحضر عندي رؤساؤهم، وبينت فساد صناعتهم بالأدلة العقلية التي يعرفون صحتها، فقال لي رئيس منهم: والله إنا نكذب مائة كذبة حتى نصدق في كلمة)(3).

الوجه الثاني: إن هؤلاء القوم أقروا على أنفسهم بفساد صناعتهم، إذ إن كل فريق حكم بفساد أصول الفريق الآخر، وكلما جاءت أمة نقضت أصول من سبقهم، وادعت أن أصولهم هي الصحيحة دون من سواهم، وهذا يبرهن على أو أصولهم المزعومة قائمة على الحدس والتخمين، ومن هذا أن الأوائل في عهد بطليموس عملوا رصدًا، واتفقوا أنه هو الصحيح، وبقي الأمر على ذلك سبعمائة سنة تقريبًا، والناس ليس بأيديهم إلا تقليدهم، حتى كان عهد المأمون، فاتفق الرصاد في عصره على أنَّهم امتحنوا رصد الأوائل فوجدوهم غالطين، وأنشئوا رصدًا جديدًا وسموه الرصد الممتحن، وبهذا أبطلوا رصد الأوائل، فما كان من

---

(1) نقل ذلك ابن القيم عن كتاب «أسرار النجوم» في «مفتاح دار السعادة»: (2/ 145) بحثت عن هذا الكلام في الجزء الذي حصلت عليه من مخطوط «أسرار النجوم» فلم أجده، ولعله في الجزء الناقص منه.

(2) «كتاب الإسطرلاب» لكوشيار الجيلي: (ق55/ أ، ب).

(3) «مجموعة الفتاوى المصرية»: (1/ 327).

الأوائل إجماع على صحة رصدهم الذي عملوه، وما كان من هؤلاء إجماع على فساد رصد الأوائل، وبالتالي إجماع منهم على أنفسهم بأنهم كانوا مخطئين في العمل بالرصد السابق، ثم حكمت طائفة بعد الرصد الممتحن بستين عامًا تقريبًا، وزعيمهم أبو معشر محمد بن جعفر بفساد هذا الرصد الممتحن، وردوا عليهم، وبينوا خطأهم في ذلك[1]، ثم جاءت جماعة أخرى منهم كوشيار بن باشهري الجيلي[2]، حكموا على من سبقهم من المنجمين بالجهل، ومن حكمه عليهم قوله في مقدمة كتاب المجمل: (ومن المنفردين بالعلم الثاني ـ يعني علم أحكام النجوم ـ من يأتي على جزئياته بحجج على سبيل النظر والجدل فظن أنها برهان، لجهله بطريق البرهان)، ثم جاءت جماعة بعد هؤلاء منهم أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي، الذي ذكر أنَّه قد عثر على أغلاط كثيرة استدركها على المتقدمين، وصنف فيها كتابًا قال في مقدمته: (ولما رأيت هؤلاء القوم مع ذكرهم في الآفاق، وتقدمهم في الصناعة، واقتداء الناس بهم، واشتغالهم بمؤلفاتهم قد تبع كل واحد منهم من تقدمه، من غير تأمل لخطئه وصوابه بالعيان والنظر، وأوهموا الناس بالرصد حتى ظن كل من نظر في مؤلفاتهم أن ذلك حاصل من معرفتهم بالكواكب ومواضعها . .)، ثم ذكر أن من سبقه ليس معهم بصيرة، بل شهد عليهم بأنهم مموهون مدلسون كذابون مفترون.

---

(١) ذكر أبو معشر شيئًا من ذلك من كتاب «أسرار النجوم»: (ق٤/ب)، (ق٩/أ).

(٢) أبو الحسن كوشيار الجيلي، منجم له قدر عند المنجمين، توفي سنة خمسين وثلاثمائة.
انظر: «تاريخ حكماء الإسلام»: (ص٩١)، و«هدية العارفين»: (١/ ٨٣٨).

ثم جاءت جماعة أخرى في عهد الحاكم[1] بالديار المصرية، خالفوا من سبقهم، وحكموا على الأرصاد السابقة بالفساد، ووضعوا رصدًا آخر سموه بالرصد الحاكمي، ثم جاءت جماعة أخرى منهم أبو الريحان البيروني حكموا بفساد أصول من تقدمهم، وذكروا كثيرًا من مناقضاتهم والرد عليهم بما هو دال على فساد الصناعة نفسها حتى أن البيروني قال في ذلك: (وعند البلوغ إلى هذا الموضع من صناعة التنجيم كفاية، ومن تعداها فقد عرض نفسه وصناعته لما بلغت إليه الآن من السخرية والاستهزاء فقد جهلها المنتسبون إليها)[2]، كما حكم على فساد طرق منجمي الهند في تنجيمهم فقال: (وإنما حكيت هذا ليعلم تباين طرق قومنا وطرق الهند في أحكام النجوم، وأما طرقهم في أحداث العالم فمع طولها فهي ركيكة جدًّا)[3]، وقال أيضًا فيهم: (فليعلم أولاً أن معوّلهم في أكثر الأحكام على ما يشبه الزجر والفراسة . . .)[4].

ثم جاءت طائفة أخرى بعدهم منهم أبو إسحاق إبراهيم بن يحيىٰ بن الزرقالة[5] خالفوا الأوائل والأواخر، وحكموا على رصدهم وأحكامهم

---

(١) هو الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز العبيدي، حاكم مصر، كان جبارًا عنيدًا، وشيطانًا مريدًا، كثير التلون في أحكامه، وأفعاله، وأقواله، جائرًا، وإليه تنسب الفرقة الضالة الحاكمية، هلك سنة إحدى عشرة وأربعمائة. «الكامل» لابن الأثير: (٩/ ٣١٤)، و«البداية والنهاية»: (١١/ ٣٤١)، (١٢/ ١٠).

(٢) «التفهيم لأوائل صناعة التنجيم»: ص٣٣١.

(٣) «تحقيق ما للهند من مقولة»: ص٤٩٢.

(٤) المصدر نفسه: ص٤٧٣.

(٥) هو إبراهيم بن يحيى التنجيبي النقاش، المعروف بابن الزرقالة، من منجمي الأندلس، أبصر أهل زمانه بالأرصاد والتنجيم، توفي سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة. «تاريخ =